الدور الوقائي للأسرة المسلمة في حماية الطفل من فكر الإلحاد

"دراسة تربوية تأصيلية"

المبحث الأول: خطة الدراسة:

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أما بعد: فإن الأسرة المسلمة ليست بمنأى عن المتغيرات المتسارعة في هذا العصر فهي جزء متفاعل مع المنظومة الكونية إيجابا وسلبا، ومن جملة هذه المتغيرات الوافدة على الأسرة المسلمة، المتغيرات الفكرية بشتى أنواعها ودوافعها ومتغيراتها، وفكر الإلحاد من هذه الأفكار الوافدة تحت دعوى الحرية الشخصية المطلقة، يقول عبد الرحمن عبد الخالق:" وبالرغم من كثرة الأفكار الوافدة وتعددها، فإن أعظمها وأكبرها أثراً في ظهور الاضطراب والفساد والقلق هي مشكلة الإلحاد، فهذه المشكلة في الحقيقة هي أم المشكلات وسببها جميعاً"(١)؛ لأن الإلحاد: هو "الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، فالمنحرف عن صراط اللَّه والمعاكس لحكمه يسمى ملحداً"(٢)، والمراد بالملحدين في هذا العصر هم: "من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة – وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان – من أثر التطور الذاتي للمادة"(٣).

ولا يشك عاقل أنه كلما زادت التحديات زادت معها مسؤولية الأسرة المسلمة استجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...)) (التحريم: ٦). فإذا كان مبدأ الوقاية مطلوب في حق الأمراض العضوية التي قد تفتك بالطفل وهو من مسؤولية الأسرة المتمثلة في الوالدين، فإن الوقاية تكون أشد أهمية إذا كان الأمر يتعلق بالفكر وتدمير العقول واختطافها، لذا كانت الضرورات الخمس (حفظ الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل) التي تمثل مبادئ الوقاية الأساسية في الإسلام، حيث قرر من خلالها حماية العقل، لأنه مناط التكليف وبه كان التكريم لجنس الإنسان. ولذا فإن من أبرز أدور الأسرة المسلمة في التربية الدور الوقائي، وهو الذي لا ينتظر المشكلة حتى تقع فيقوم بالمعالجة، فهو دور مبادر يستشعر الخطر قبل وقوعه، ويتخذ الإجراءات التربوية الكفيلة بسلامة معتقد الطفل من الوقوع في فكر الإلحاد، وتتعاظم الأهمية على الأسرة المسلمة كلما كان الخطر يتهدد عقل الطفل ويفسد معتقده.

وفكر الإلحاد ليس وليد الساعة بل هو قديم في البشرية، ولكن تنوعت صوره وتعددت أسبابه، وما نحن بصدده هو صوره المعاصرة ومناقشة وتحليل الأسباب التي تقف خلفه؛ لاسيما ما ظهر على الشباب المسلم الذي ولد في أسر مسلمة كان من أهم واجباتها حماية معتقدهم وسلامة فطرهم. والمشاهد اليوم لواقع الشباب المسلم من خلال وسائل التقنية بمختلف أنواعها لاسيما وسائل التواصل الاجتماعي، يرى ظهور الشبكات الإلحادية في بلاد المسلمين، والدعوة إليها علانية، والتواصل معها بلا خوف ولا تردد، وحينما تبحث في مؤسسي هذه الشبكات تجدهم ينطلقون منطلقات غير المنطلقات التي بدأها أسلافهم من الملاحدة الذين أنكروا وجود الله بقولهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتُواْ بِآبَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجاثية، ٢٤-٢٥)، فهؤلاء كانت منطلقات اعتقادهم نسبة التدبير إلى مرور الأيام والليالي وتأثيرها على حياتهم والتحكم في معاشهم ومماتهم.

غير أن المنطلقات لدى معتنقي فكر الإلحاد المعاصر ليس الشك كما كان معروفا من القدم، ولكن المنطلق هو النقد المطلق لكل شيء تحت مسمى الحرية بلا قيود، زاد من صعوبة الأمر على الأسرة المسلمة في مواجهة هذا الفكر السهولة في التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل التقنية المعاصرة من مواقع وشبكات خصصت لنشر فكر الإلحاد واصطياد الشباب عبر إثارة الشبهات وبريق الشهوات، الأمر الذي صعب على الأسرة القيام بدورها التربوي الوقائي في محاربة فكر الإلحاد المعاصر وسلامة عقل الطفل ومعتقده من صغره قبل أن يصبح شاباً قابلا لتشرب فكر الإلحاد دون وقاية. لذا فإنه إيماناً منا بضرورة دعم دور الأسرة الوقائي من مرحلة مبكرة، وذلك من خلال تلمس هذا الدور من خلال توجيهات المصدرين الأساسين للتربية الإسلامية، فإن الباحث تناول في هذه الدراسة الدور التربوي الوقائي في حياة الأسرة المسلمة لحماية الطفل من فكر الإلحاد المعاصر مع اقتراح مجموعة من الاستراتيجيات التربوية التي تساعد الأسرة في وقاية الطفل من فكر الإلحاد مع بيان طرق تطبيقها في تربية الطفل.

مشكلة البحث:

إن المتتبع لوسائل التواصل الاجتماعي يلمس مدى اتساع مساحة الحرية في الطرح والحوارات وهو أمر إيجابي، ولكن المشكلة تكمن في عدم الانضباط في النقد والحوار وتجاوز حدود النقد إلى الثوابت التي لا تقبل النقد، والتي اعتبرتها التربية الإسلامية خطوط حمراء لا تقبل المناقشة، ومن جملة ذلك قضايا المعتقد فيما يتعلق بوجود الخالق وأزلية المادة، حيث أن هذا الباب منزلق خطر تاهت فيه أفهام وحارت فيه عقول لذا جاءت السنة بالتوجيه بسد هذا الباب وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: ((تفكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، ولَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ))(٤). إن مبدأ الوقاية في هذا الحديث واضح

حيث إن السنة جاءت بالكف عن التفكير في الأمور التي لا يدركها العقل البشري، ولا يستطيع فهم كنهها، وقد غاب هذا الجانب التربوي الوقائي في حياة الأسرة المسلمة لاسيما أثناء تربية الطفل في الصغر، فاجتمع غياب للدور الوقائي للتربية، وحرية مطلقة عن طريق وسائل التقنية والتواصل الحديث في ظل غياب الرقيب، الأمر الذي أدى إلى تنامي ظاهرة الإلحاد المعاصر.

هنا كان لابد من إبراز توجيهات التربية الإسلامية الوقائية للأسرة المسلمة من خلال مصدريها الأصيلين القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة، لتكون دليلاً لها في ميدان وقاية الطفل من الأفكار المنحرفة وعلى رأسها فكر الإلحاد المعاصر عبر صوره المختلفة، ووسائله المتعددة. لذا برزت مشكلة هذا البحث وتبلورت في الشعور بحيرة الأسرة المسلمة التي أصبحت التحديات التربوية أمامها جسام، ولذا أراد الباحث دعم الدور الوقائي للأسرة المسلمة في حماية الطفل من فكر الإلحاد المعاصر، وذلك من خلال تناول هذا الدور من خلال أربع مباحث على النحو التالي: المبحث الأول: خطة البحث. المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد وأبرز صوره المعاصرة وآثاره. المبحث الثالث: ملامح التربية الوقائية من فكر الإلحاد من خلال القرآن والسنة. والمبحث الرابع: الاستراتيجيات التربوية الوقائية الداعمة للأسرة المسلمة في وقاية الطفل من فكر الإلحاد، وعرض أبرز صور تطبيقها في تربية الطفل.

أهمية البحث:

١. بيان خطر الإلحاد المعاصر على حياة الطفل المسلم، مع إبراز صوره المعاصرة، ومسببات انتشاره بين أبناء المسلمين، والوسائل التي ساعدت على ذلك.

٢. إبراز الدور الوقائي للأسرة المسلمة في حماية عقل الطفل ومعتقده، وكيفية جعل هذا الدور فعالا ليمثل الوقاية من فكر الإلحاد في حياته المستقبلية، والحصانة من الشبهات وخطرها، وممارسة هذا الدور كجزء أساس من التربية الأسرية وفق علم وبصيرة ومهارة تجعل من التربية الوقائية صمام أمان ضد شبهات الإلحاد.

٣. عرض مجموعة من الاستراتيجيات الوقائية التي يجب على الأسرة الأخذ بها في تربية الطفل من الصغر، وبيان كيفية ممارسة هذه الاستراتيجيات كتطبيقات تربوية مستمرة وفاعلة من الصغر.

٤. تقديم مجموعة من الاستراتيجيات الوقائية لمساعدة الأسرة في تربية الطفل، وطرح مجموعة من التطبيقات التربوية لتحقيق هذه الاستراتيجيات في وقاية الطفل من فكر الإلحاد.

٥. أخيرا تبرز أهمية هذا البحث في كونه يناقش صور الإلحاد المعاصر، ويقترح لها الحلول والتطبيقات العملية من خلال توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية

المطهرة في الجانب الوقائي لحماية الطفل، وبيان ما أوجبه الله على الآباء والأمهات من حقوق للطفل لحماية عقله من التلوث الفكري، ومعتقده من الانحراف العقدي في قالب تربوي يسهل فهمه وتطبيقه من قبل الأسرة.

تساؤلات البحث:

* السؤال الرئيس للبحث: ما الدور الوقائي للأسرة المسلمة في حماية الطفل من فكر الإلحاد المعاصر؟

وتشتق منه الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما مفهوم الإلحاد؟ وما أبرز صوره المعاصرة؟ وما أخطر آثاره؟
٢. ما ملامح الدور الوقائي لحماية الطفل من فكر الإلحاد من خلال توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؟
٣. ما الاستراتيجيات التربوية الوقائية الداعمة للأسرة المسلمة في وقاية الطفل من فكر الإلحاد؟ وما أبرز صور تطبيقها في تربية الطفل؟

أهداف البحث:

يهدف البحث عموما إلى رسم ملامح الدور الوقائي للأسرة المسلمة في حماية الطفل من فكر الإلحاد المعاصر. ومن الأهداف الفرعية المشتقة من الهدف العام والتي تحققها الدراسة: بيان مفهوم الإلحاد، وعرض أبرز صوره المعاصرة وآثاره. وعرض ملامح الدور الوقائي لحماية الطفل من فكر الإلحاد من خلال توجيهات القرآن والسنة. وإبراز أهم الاستراتيجيات التربوية الوقائية الداعمة للأسرة المسلمة في وقاية الطفل من فكر الإلحاد وتطبيقاتها في تربية الطفل.

منهج البحث:

اتبع في هذا البحث المنهج الوصفي (الوثائقي) وهو: "الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع أو مشكلة البحث، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابات أسئلة البحث"(*)، مستخدماً طريقتي الاستنباط والاستقراء في تحقيق ذلك. وفي ضوء هذا المنهج قام الباحث بجمع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي جاءت بتحقيق مفهوم الوقاية في تربية الطفل وحمايته من الانحرافات العقدية، ومن ثم دراسة هذه النصوص الشرعية لاستنباط وإبراز مفهوم التربية الوقائية. كما تم جمع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي جاءت تبين خطر فكر الإلحاد، وتحليلها لاستنباط موقف القرآن والسنة من فكر الإلحاد. واستقراء وعرض أبرز الاستراتيجيات التربوية الوقائية

الداعمة للأسرة المسلمة في وقاية الطفل من فكر الإلحاد وفق توجيهات القرآن والسنة، وأبرز تطبيقاتها في تربية الطفل.

حدود البحث:

تقتصر حدود هذا البحث على التالي:

* الحدود الموضوعية: يقف هذا البحث في حدوده الموضوعية عند نصوص القرآن والسنة المتعلقة بتوجيه الأسرة إلى تحقيق الجانب الوقائي في تربيتها للطفل والمحافظة على سلامة معتقده من الانحرافات.

* الحدود المكانية والزمانية: تقتصر على الأسرة المسلمة في كل مكان تعيش فيه، وفي واقعنا المعاصر على وجه الخصوص، فهي مطالبة بتطبيق توجيهات القرآن والسنة في تحقيق التربية الوقائية لحماية الطفل من الانحرافات العقدية بكافة أنواعا ومن أولاها وأشدها خطرا فكر الإلحاد، ولاشك أن مشكلة البحث تم تناولها في إطار الحدود المكانية والزمانية على واقع ما هو كائن نحو ما ينبغي أن يكون.

مصطلحات البحث:

* الدور الوقائي: يقصد بالدور الوقائي للأسرة المسلمة في هذه الدراسة: مجموعة المهام والمسؤوليات المستنبطة من خلال توجيهات القرآن والسنة التي أوجبها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على الأسرة المسلمة لحماية معتقد الطفل من الانحراف العقدي. حيث إن هذا الدور يتمثل في "صيانة فطرة الإنسان وحمايتها من الانحراف، ومتابعة النفس الإنسانية بالتوجيهات الإسلامية الربانية، عن طريق أخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية التي تمنع من التردي في خبائث العقائد والأخلاق وسائر الأعمال، ليظل الفرد على الصراط المستقيم، مهتدياً للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب حياته"(٦).

* الأسرة المسلمة: "جماعة اجتماعية تتكون من رجل وامرأة أو أكثر، يرتبطون برباط الزواج وتنشأ بينهم علاقة جنسية يقرها الشرع، وتتوافق مع أعراف المجتمع وتقاليده، ينتج عنها إنجاب أطفال يشتركون معاً في المسكن نفسه ضمن أدوار اجتماعية واقتصادية وثقافية مشتركة، وتقوم الأسرة بتوجيه هؤلاء الأبناء ليمتثلوا قيم المجتمع وأهدافه عبر عملية التنشئة الاجتماعية، وقد تشمل الأسرة إلى جانب الوالدين والأبناء بعض الأقارب"(٧).

* الطفل: الطفولة هي: المرحلة العمرية الممتدة من الولادة إلى البلوغ بغض النظر عن التقسيمات العمرية للطفولة، ولذا فإن مرحلة الطفولة تعني: "المرحلة من الميلاد حتى البلوغ، وهى المرحلة الأولى من حياة الإنسان، والتي تتشكل شخصيته من خلالها،

وليس هناك اتفاق بشأن العمر الذي يمثل الحد الأعلى للطفولة، ولكن اتفاقية حقوق الطفل ١٩٨٩ م تنص على أن الطفل هو: أي إنسان دون سن ١٨ عاماً، ما لم يبلغ طور الرشد في وقت مبكر"(٨).

* فكر الإلحاد: الإلحاد: هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط اللَّه والمعاكس لحكمه يسمى ملحداً(٩). والمراد بالملحدين إجرائيا في هذا البحث: "من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة – وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان – من أثر التطور الذاتي للمادة"(١٠)، وما ينتج عنه من إنكار للغيب، واليوم الآخر، والثواب والعقاب، وتعدى على المسلمات، وإنكار للرسل، واستحلال المحرمات، والاعتقاد بعدم صلاحية الإسلام للتطبيق في هذا العصر.

الدراسات السابقة:

* الدراسة الأولى: دراسة "حنان محمد درويش": بعنوان: دور الأسرة المسلمة في تفعيل قيمة الوسطية كمنهج حياتي للشباب. وتدور فكرة الدراسة حول أنه قد يفتقد الأبناء الوعي السليم، والقدوة الرشيدة، ويقعون فرائس الصراعات النفسية بين الحلال والحرام، بين الفطرة ومستجدات العصر، ويبحثون عن سبل وأساليب أخرى يجدون فيها تعبيراً عن الرفض للصور غير المقبولة بالمجتمع ويتمردون على واقع يرون أنه لا يعبر عن حاجاتهم ومتطلباتهم؛ كاللجوء إلى شكل من أشكال التطرف أو التكفير وهجرة المجتمع، أو التعصب في الأفكار والممارسات، وتعد الوسطية في كل الأمور أهم مزايا المنهج الإسلامي توجيه طاقات الأمة لتحقق التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الدين والدنيا وبين العقل والقوة وبين المثالية والواقعية وبين الروحانية والمادية وغيرها، إن من أهداف التربية: إيجاد الفرد الصالح، وإن جنوح الفرد يميناً أو يساراً بالغلو والتطرف، أو اللامبالاة والتهاون، لهو مؤشر خطير يستوجب صحوة كل من يضطلع بمسئولية التربية بالمجتمع لبحث أسباب هذا التطرف وسبل علاجه للجيل الحاضر، وإعداد العدة لوقاية الجيل الجديد من استفحال تلك الظواهر فيه، وقد قسمت الباحثة البحث إلى ثلاث محاور رئيسة هي: المحور الأول:تحديد مفاهيم:الدور،الأسرة المسلمة، والوسطية، المحور الثاني: الغلو والتفريط في مجتمع الشباب، المحور الثالث: دور الأسرة في تفعيل الوسطية كمنهج حياة للشباب. وتتشابه الدراستان في أنهما تجعلان من الأسرة خط الدفاع الوقائي الأول في حماية النشء من الانحرافات العقدية الفكرية المعاصرة، وتشتركان في بيان دور الأسرة التربوي ومدى تأثيره في سلامة معتقد الأبناء. وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسة السابقة؛ حيث تركز الدراسة السابقة على

قيمة الوسطية وتضع آليات تربوية لطرق تطبيقها وجعلها جزء رئيس من دور الأسرة في تربية الشباب بحيث يتبنون قيمة الوسطية في تصرفاتهم، وتختلف عنها الدراسة الحالية في كونها تركز على الجانب الوقائي في تربية الطفل، واستنباط هذا الجانب من نصوص القرآن والسنة وتقديمه للأسرة المسلمة في قالب تطبيقي منهجي لاعتماده في حماية الطفل من الانحرافات العقدية وعلى رأسها فكر الإلحاد، فالدراسة السابقة تركز على بناء القيم والحالية على استخدام القيم وغيرها من جوانب التربية في وقاية معتقد الطفل. وتتميز الدراسة الحالية بإبراز الدور الوقائي للأسرة المسلمة من خلال توجيهات الكتاب والسنة، وتحويله إلى استراتيجيات وقائية تربوية عملية تساعد الأسرة في حماية عقيدة الطفل من فكر الإلحاد وما شابها من أفكار تؤثر على سلامة فطرته ومعتقده.

* الدراسة الثانية: دراسة "أروى بنت عبد الله بن مساعد الفايز": بعنوان: الآثار الأخلاقية للعولمة على الأسرة المسلمة ووسائل مواجهتها. وتدور فكرة الدراسة حول أن الأسرة هي الحاضنة الأولى لتعاليم الدين وقيم المجتمع وثقافته وتراثه، وعن طريقها تتوارث الأجيال خصائص الأمة وتتشرب قيمها وثقافتها ومعارفها وأسلوب حياتها وأنماط سلوكها، فإذا غاب دور الأسرة أو قصرت في أداء مهمتها في تنشئة الأجيال ومدهم بالزاد المناسب الذي يضمن لهم الحصانة الذاتية في أنفسهم، فإن جهات أخرى ستؤدي هذا الدور على النحو الذي تريده هي دون ضابط أو رقيب، فالتربية الدينية المبكرة تعد وسيلة وقائية لسلوك الإنسان، فهي تساعد على تكوين نظام ثابت من القيم والمعايير الأخلاقية، وبقدر ما يستفيد سلوكه وتفكيره من هذا النظام يكون أقدر على تحصين فكره وسلوكه؛ ذلك أن الدين هو المشكِّل الأساس للثقافة، والتربية، والدافع الرئيس للسلوك، والمانح للمعايير التي تمكن من الفحص، والاختيار، والقبول والرفض. إن بيان قدرة الله على خلقه، واطلاعه على أعمالهم وأفعالهم، يسهل على الوالدين تربية الأبناء على الاستقامة على أمر الله عز وجل، فينشؤون على مراقبته، والتزام منهجه في كل ما يأمر وينهى، ويكون عندهم من حساسية الإيمان ما يكفهم عن المفاسد الاجتماعية، والمساوئ الخُلقية، ويصلحون روحياً وخُلقياً وسلوكياً، وقد قسمت الباحثة الدراسة إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي: المبحث الأول: خطة الدراسة والإطار المفاهيمي، المبحث الثاني: الآثار الأخلاقية للعولمة على الأسرة المسلمة، المبحث الثالث: وسائل مواجهة خطر العولمة. الدراستان – الحالية والسابقة – تهتمان بالبعد الوقائي في مواجهة الأخطار التي تواجه الأسرة المسلمة، حيث خصصت الباحثة في الفصل الثاني مبحث عن سبل المواجهة لأخطار العولمة الأخلاقية من داخل الأسرة عن طريق تحصين الأسرة، وهذا المبحث أمكن الاستفادة منه في دعم الدراسة الحالية. ولكن الدراسة السابقة اهتمت بأثر العولمة من الجانب الأخلاقي، ولم تتناول الجانب الفكري، ولذا فإن الدراسة الحالية أخص في التناول والتركيز على ظاهرة فكرية واحدة تتناول فكر الإلحاد بشيء من الخصوص وتضع المنهج التربوي التطبيقي العملي للأسرة

لحماية الطفل ووقايته. ولم تعد الدراسات التي تهتم بتشخيص المشكلة كافية في نظر الباحث، بل لابد من التشخيص وبعده تقديم الحلول العملية التطبيقية الممكنة للأسرة، التي تساعدها من حيرتها، وتخرجها من مشكلة تؤرقها، وهذا ما تهتم به الدراسة الحالية، من إبراز التربية الوقائية وتحويلها لبرنامج عملي.

المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد المعاصر وتطوره، وأبرز صوره، ومسبباته، وآثاره:

مفهوم الإلحاد وتطوره:

الإلحاد في اللغة هو: "الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمراء، يقال: لحد في الدين لحداً، وألحد إلحاداً، لمن مال وعدل وماري وجادل وظلم"(١١). "واللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت؛ لأنه قد أُميل عن وسط القبر إلى جانبه"(١٢). والإلحاد في الاصطلاح: "هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط اللّه والمعاكس لحكمه يسمى ملحداً"(١٣). وهو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها مفاهيم الحرية المطلقة والتمرد على كل موروث. أما المراد بالإلحاد الذي نحن بصدد دراسته: "كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون سبحانه وتعالى. سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين الماركسيين بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كل من لم يؤمن بالله تعالى ويزعم أن الكون وجد بذاته في الأزل نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة دون تحديد وقت لها واعتقاد أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وجد وعلى امتداد التاريخ من أحوال في كل شؤونه إنما وجد عن طريق التطور لا أن هناك قوة إلهية تدبره وتتصرف فيه"(١٤).

ولذا فإن المراد بالملحدين وفق رؤية هذه الدراسة: **هو المعنى المصطلح عليه في هذا العصر وهم: "من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة – وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان – من أثر التطور الذاتي للمادة"(١٥)، وهو الحاد متوحش متمرد لا يكتفي بإنكار الذات الإلهية، وإنما يدعو إلى فكرته ويعادي ما سواها من أفكار عقدية، يمارس كل ذلك بزعم الحرية المطلقة التي جعلها الحاكم على كل تصرفات الإنسان، وفي بعض صوره ليس شرطا أن ينكر الإله، وإنما ينكر**

البعث والنشور، والثواب والعقاب وكل ما يتعلق باليوم الآخر. ومن ثم فالإلحاد لم يعد في هذا العصر هو مجرد فكر فلسفي أو مادي ينكر وجود الله لعدم قدرة العقل على استيعاب هذه الحقيقة، "الإلحاد المعاصر ليس إلحادًا عقلانيًا، ولا فلسفيًا، ولا منطقيًا، ولا علميًا.. إنما هو إلحاد تصميم.. تصميم بالرفض لفكرة الله.. وذلك بسبب خبرة حزينة عند بعض الأفراد أو عند بعض الشعوب، خبرة مؤلمة وقاسية.. عن الدين والمتدينين أو عن الملوك والحكام الذين يتخذون الدين غلافًا يغلفون به تصرفاتهم ويستندون فيها كذبًا وبهتانًا إلى الله"، والإلحاد قد يكون ظاهرًا متى أعلنه الإنسان الذي يؤمن به للغير، وقد يكون مُبطنًا متى أبطنه الإنسان وأخفاه عن الغير"(١٦).

ولذا تنامت شبه الإلحاد المعاصرة، وتنوعت صوره، فقد تتفاجأ من "فتى أو شاب قرأ كتابين أو ثلاثة عن الإلحاد، أو دخل إلى المواقع الإلحادية على شبكة الإنترنت، يتشكك في إيمانه، ويقول لك: أثبت لي أن ربنا موجود ؟، ولماذا لا يكون الله هو وليد فكر الإنسان بهدف أن يهرب من الواقع المر الذي يعيش فيه؟، والسماء والحياة الأخرى ما هي إلاَّ خدعة يخدع بها رجال الدين والحكماء البسطاء ليصرفوهم عن واقعهم المؤلم ويعطونهم الرجاء الكاذب في حياة لا وجود لها، ومادام ليس هناك إله، ولا حياة أخرى، ولا ثواب ولا عقاب، فما الفائدة من هذه الحياة..؟ ولماذا أتحمل فيها عناء الدراسة والتمسك بالفضيلة..؟ لماذا أتعب من أجل حياة تؤول إلى العدم..؟! ما فائدة هذه الحياة، والأيام تسرع بنا إلى الفناء الذي ينتظرنا بشغف عند باب القبر..؟! لماذا لا نشجع على الانتحار وموت الرحمة..؟!، ويأتي آخر ليقول: لو كان الله موجودًا، فمن الذي أوجده؟ ولماذا لا يعلن عن ذاته بصورة محسوسة؟ ولماذا يترك الإنسان للمتاعب والآلام والحروب والأمراض والموت؟ هل هو غير قادر أم غير محب؟! ويأتي ثالث ليقول: حتى لو كان الله موجودًا، وهو قد حدَّد مصيري مسبقًا إلى النار، فلماذا أتعب نفسي في صلاة، وصوم، وحج، وجهاد، وتمسك بالقيم والفضيلة....."(١٧). إن هذه الشبهات، وتنوعها، وتعدد أسبابها ومصادرها، يجعلنا أمام ظاهرة الحادية متعددة الأشكال في واقعنا المعاصر، بعضها يتدثر بشبهات محيرة، أو شهوات جذابة تأخذ بأعناق الجيل إلى واقع بئيس من فكر الإلحاد، ملؤه القلق والحيرة، وميدانه الاستمتاع الحيواني بملذات الحياة بأقصى ما يستطيعه الإنسان قبل الرحيل من هذه الحياة.

ومصطلح الإلحاد من المشترك اللفظي الذي إذا أطلق دل على مصاديق عدة، والنظر في هذا الضرب من المفاهيم يتطلب تعيينا دقيقا لمناطات القول وجهاته حتى لا يحصل الخلط المنتج للخبط، من هنا كان حريا بنا الميز ــ على الأقل ــ بين وجهين من أوجه الدلالة الفعلية لمصطلح الإلحاد، الوجه الأول نصطلح عليه من جانبنا بالإلحاد المقر، والمقصود بهذا الضرب من الإلحاد مختلف صور التنقيص من شأن الذات الإلهية مع الإقرار لهذه الذات بالوجود، والوجه الثاني نصطلح عليه بالإلحاد المنكر، وهو القول بعدم وجود ذات إلهية أصلا.... إن هذا الميز النظري بين الوجهين الإقراري والإنكاري

للإلحاد له ما يقابله في التجربة التاريخية، إذ إن تطور الفكرة الإلحادية عبر التاريخ مر بطورين اثنين يمكن الاصطلاح عليهما على الجملة بطور الإلحاد الإقراري وطور الإلحاد الإنكاري، ولا ينبغي أن يفهم من هذا الميز التاريخي تعيينا للحدود الفاصلة فصلا مطلقا بين الطورين، فهذا النوع من الفصل لا يصح في ميادين التاريخ والفكر والثقافة، فلا شك أننا واجدون في الطور الإقراري من تاريخ الإلحاد عناصر من الإلحاد الإنكاري، ولا ريب أننا واقفون في الطور الإنكاري من تاريخ الإلحاد على مظاهر من الإلحاد الإقراري، فالتحقيب هاهنا ينظر في السمة الغالبة والأمارة الفارقة.... وإذا شئنا تعيين نقطة الفصل بين هذين الطورين فإن الظن أمْيَل إلى القول إن جذور المقالة الإلحادية المنكرة تعود إلى القرن السادس عشر الميلادي، أي قرن الثورة العلمية الحديثة، أما قبل هَذه اللحظة التاريخية فقد كان الإلحاد في الغالب يأخذ طابعا إقراريا، أي أن الإلحاد في هذه الحقبة لم يكن إلا شبه إلحاد يتقصد فكرة الألوهية الكاملة بوجه من أوجه التنقيص تبخيسا لمقتضيات الكمال في الذات الإلهية، أو تعطيلا لصفة مقوِّمة لهذه الذات، أو تنزيلا لها في منزلة من المنازل المزرية"(١٨).

إن مشكلة الإلحاد ليست مشكلة دولة أو دين أو نظام، كما أنها ليست نتاج أجواء الانفتاح الفكري والثقافي فقط، إنما هي في حقيقة الأمر مشكلة نفسية تتعلق في الأصل بوجود حالة خواء ديني ومعرفي تتراكم آثاره عبر السنين حتى تنتهي بصاحبه إلى الإلحاد، ساهم في صنعها وتهيئة المناخ لظهورها الجهلُ والخرافة والتعنت والموروثات الأسطورية، لذلك كان العالم الإسلامي هو الأقلَّ من بين سكان العالم إصابة بهذه الظاهرة المخيفة... وقد كان من أهم النتائج التي خلص إليها الباحثون هو أن الإلحاد كان وما يزال مشكلة وظاهرة أوروبية بامتياز، لم يكن للعالم الإسلامي فيها دخل أو نصيب، فقبل ثلاثة قرون لم يكن الإلحاد معروفا أو ظاهرا بحيث يصل لأن يكون قرابة الـ ١٦ % من سكان العالم مصنفين تحت خانته، وكان من الطبيعي أن تعنون كل الدراسات الميدانية في تأصيل ظاهرة الإلحاد إلى أن الكنيسة الأوروبية هي السبب الرئيسي في ظهور هذه المشكلة وتضخمها حتى وصلت لهذا المستوى المخيف، فكانت سبباً مباشرا وغير مباشر في نشر الإلحاد والزندقة والكفر الكامل بوجود الله، وذلك لأن القائمين على هذه الكنيسة من الرهبان والقساوسة أدخلوا في دينهم كثيراً من الخرافات والخزعبلات، وجعلوها عقائد دينية، كرفعهم عيسى – عليه السلام – من مرتبة البشرية إلى الألوهية، ومزجوا الحقائق العلمية الثابتة بالخرافات الدينية الرائجة، بل واحتكروا هذه العلوم والنظريات، فصارت هناك العلوم الكنسية والعلوم الدنيوية، وعندما بدأ عصر النهضة الأوربية واكتشف بعض العلماء حقائق جديدة عن الأرض والكون والحياة تخالف ما عند الكنيسة من خرافات علمية، هب الرهبان والقساوسة ينكرون ذلك، ويتهمون من يعتقد بالحقائق الجديدة ويصدق بها بالكفر والزندقة ويوعزون إلى السلطات الحاكمة بقتلهم وحرقهم بالنار، ولقد لقي كثير من العلماء هذا المصير المؤلم

جزاء مخالفتهم لآراء الكنيسة. ولكن حركة العلم لم تتوقف واستطاع العلماء أن يقدموا كل يوم براهين جديدة على نظرياتهم العلمية وابتدأت آراء الكنيسة ومعتقداتها تُهزم كل يوم هزيمة جديدة وكانت الجولة في النهاية لعلماء المادة على رجال الكهنوت فاندفع الناس نحو الإيمان بالعلم المادي باعتبار أنه سوف يحمل الرخاء والقوة والرفاهية للناس، ونبذ الكنيسة التي أرهقتهم بالخرافات والأساطير وكبلتهم بالإتاوات والغرامات والكفارات. وعلى إثر ذلك ظهرت فكرة العلمانية التي بدأت بضرورة منع تدخل الدين في السياسة وشؤون الحكم، وقصره على المعاملات الخاصة فقط، وبدأ الناس ينصرفون عن الدين شيئا فشيئا مع دخول الثورة الصناعية وتكشف كثير من المعارف والعلوم، وانزوى سلطان الكنيسة على عتبات أبوابها. ثم بدأت العلمانية في الانتشار والرواج بين أوساط الأوروبيين، وانتقلت عدواها إلى المستعمرات التابعة لها، وصارت هناك تربة خصبة مواتية لظهور أفكار أشد تطرفا من العلمانية الأولى، وظهرت لأول مرة الأفكار الإلحادية ممزوجة بصبغة البحث العلمي والنظري، فظهرت أفكار نيتشه وإنجلز، ثم ظهرت المذاهب الاقتصادية الإلحادية وخاصة الشيوعية التي بشر بها كارل ماركس وعلى الرغم من أن هذا المذهب ينطلق من منطلق اقتصادي ويستهدف معالجة المظالم الرأسمالية الفردية، إلا أن القائمين على هذا المذهب الاقتصادي صبغوه بالصبغة العقائدية وأعطوه أبعاداً أخرى غير اقتصادية فزعموا أن الحياة التي يعيشها الناس حياة مادية فقط وأنه لا يوجد روح ولا بعث ولا إله، وأن ظهور الأديان إنما كان من فعل الأغنياء ليدلسوا على الفقراء ويستغلوهم، وبهذا أصبح هذا المذهب الاقتصادي بفلسفته التي أطلقها على الأديان موجة جديدة من موجات الإلحاد والزندقة. ولعل هذه الموجة الجديدة التي جاءت بها الشيوعية كانت أعتى موجات الإلحاد جميعاً، فانتشر الإلحاد سريعاً مع هذا المذهب الاقتصادي الجديد وكان النجاح الهائل الذي لاقته الدعوة الشيوعية بتفجير الثورة البلشفية في روسيا والاستيلاء على الحكم عاملاً كاسحاً في هدم الأديان ونشر الإلحاد وانتقاله ليصبح عقيدة عالمية حين تم إنشاء الأحلاف العسكرية (وارسو والأطلسي). ومن الأمور التي ساعدت على ظهور الإلحاد وتفشيه ظاهرة الانحطاط الذي أصبح عليه العالم الإسلامي الذي كان معقل الدين الصحيح في العالم، وتراجعه أمام الغزو الأوروبي والغربي على كل الأصعدة وفي كل المجالات، وكانت النهاية التي تزامنت مع سقوط الخلافة العثمانية المسلمة العريقة والتي تحولت من اتحاد واسع ممتد في ثلاث قارات إلى دولة مذعورة قابعة في أقل من ٥ % من مساحتها الأصلية، مما أوجد مقارنة ومقاربة ذهنية تربط بين التقدم والإلحاد، والتخلف والدين عند كثير من المنهزمين والضعفاء والمفتونين... فالإلحاد إذن صنيعة أوروبية تسبب في وجودها طغيان الكنيسة الذي أوجد العلمانية التي أوجدت الإلحاد، وهو محصلة تراكمية من الجهل والتعنت والطغيان أدى في النهاية لهذا العدد المخيف من البشر في خانة الإلحاد والضياع(١٩).

وقد دَعَمَ هذه الظاهرة وأذكاها في عصرنا فتح العلم المادي للناس أبوابا عظيمة من أبواب الرفاهية والترف، فالمراكب الفخمة من سيارات وطائرات، وقطارات، ووسائل الاتصال ووسائل الراحة والتسلية، والمطاعم والمشارب الفاخرة، والألبسة الأنيقة، والتفنن العجيب في التلذذ بالحياة، والجري وراء الشهوات والمغريات كل هذا فتح على الناس ألواناً لم يعهدوها من الاستمتاع بالحياة، والانغماس في الشهوات والملذات. ولما كان الدين بوجه عام ينهى عن الإسراف ويأمر بالقصد والاعتدال، ويحرم الاستمتاع بالحرام كالخمر والزنا والتعري فإن الناس الذين يجهلون سر أمر الدين بذلك ظنوا أن هذه قيوداً على حريتهم، وحجراً لملذاتهم وشهواتهم فازدادوا لذلك بعداً عن الدين، وكراهية لمن يذكرهم بالآخرة ومن يحذرهم من نار أو يطمعهم في جنة. وبذلك أيضاً ازدادت غربة العقائد الدينية وانتشرت عقائد الإلحاد والزندقة(٢٠).

وبعد هذا الاستعراض للظاهرة الإلحادية وتطوراتها المعقدة، وتداخل مسبباتها، نخلص إلى أن ظاهرة الإلحاد هي ظاهرة متنامية طرديا مع النمو المادي والنمو التقني وزيادة مساحة الترف والاستمتاع بالحياة المادية بكل جوانبها، في ظل جعل التدين حرية شخصية تكون بحسب رغبة الفرد وشعوره بالحاجة إلى التدين قد يكون في وقت دون آخر، وبالتالي ليس شرطا في أن يكون التدين صفة مستمرة في الإنسان، بل يكفيه أن يمارسه في يوم من الأسبوع وفي ساعات محدودة، وبالتالي فإن هذه الممارسات باسم التدين، أوجدت فراغا ومساحات واسعة لانتشار فكر الإلحاد ونمو الظاهرة الإلحادية. فضلا عن أن تطبيقات العلمانية ومن ثم اللبرالية بطرحها المعاصر تجعل الحرية هي صنم العصر الذي يعبد من دون الله، بعد أن أسست العلمانية لهذا الصنم بفصل الدين عن مناحي الحياة، وهنا فإن أصحاب الشهوات ناسبهم هذا الطرح فأيده بعضهم في عالمنا الإسلامي، إن استطاع تصريحا، وإن لم يستطع كان تأييده تلميحا عبر مواقع التواصل الحديثة بأسماء مستعارة، وأطروحات تشكك الشباب في الثوابت، وتسهل لهم باسم الحرية عدم التوقف عند مسلمات العقيدة ولوازم الدين بالضرورة.

بعض صور الإلحاد المعاصرة:

بتتبع ظاهرة الإلحاد المعاصر عبر مواقع التواصل وشبكات الإنترنت وبعض الكتب والمنشورات، تبرز مجموعة من صور الإلحاد على شكل ممارسات أخلاقية، أو أطروحات فكرية، أو مناقشات علمية نورد هنا جملة من تلك الصور: إنكار الغيب جملة وتفصيلاً، وقصر الإيمانَ على الملموس والمحسوس – فقط – دونَ ما غابَ عن العين، أو لم يُمكن مدركاً بالحسّ، والتصريح بهذا الطرح مع معرفة أنه ينافي التوحيد. والاستهزاء بالشعائر الدينيّة جميعها، ووصف أهلها بالرجعيينَ والمتخلّفينَ، ومحاربة أي دعوة تدعو إلى التديّن، أو صبغ الحياة بمظاهر الدين. وكذلك ميلهم نحوَ احتقار العرب، واحتقَار عاداتهم وسلوكهم، ومدحهم للشعوبيّةِ والباطنيّةِ... واتخاذ ذلك وسيلة للنيل من

الدين والمتدينين، واعتبار أن الإسلام هو سبب تخلفهم، وخلطهم بين مفهوم الدين الخالص من عند الله، والتدين الذي هو الممارسات البشرية. ودعوتهم للتغريب والالتحاق بالغرب، والأخذ بجميع ثقافاتهم وأمورهم الحياتيّة، والتعلّمُ منهم ومن سلوكيّاتهم، والطرح بأنه لا يمكن تحقيق التقدم والتطور في مجالات الحياة إلا بتنحية الدين عن مناحي الحياة، وهذا ما فعلته الدول المتقدمة وتحقق لها ذلك، وبالتالي فلابد من استنساخ تجربتهم العلمانية. وحربهم الشرسة على الأخلاق والعادات الحميدة، وادّعاؤهم أنّهُ لا يوجدُ شيءٌ ثابتٌ مُطلقاً، وأنّ الحياة والأخلاق والعادات في تطوّر مستمرّ، وأنّ الثبات على الشيء إنّما هو من شأن الغوغائيينَ والمُتخلّفينَ والرجعيينَ. وتعظيمُ المادّة والطبيعة، وكذلكَ تعظيمُ جميع العلوم الطبيعيّة، وجعلهُا أساسَ كلّ الحضارات، وافتعال صراع مزعوم بينَ الدينِ والعلم التطبيقيّ. ومنعهم من محاربةَ الاحتلال، ووقوفهم دائمًا ضدّ المقاومات الشعبيّة، ووصفها بصفات بشعة، والدعوةُ إلى مهادنة الغازي والتعايشُ معهُ، حتى لو كان متعديا على الحرمات والمقدّرات. وإثارة فكرة عدائية وإقصائية الدين للآخر، وأنّه سببٌ للتناحر ونشر البغضاء في الأرض، وأنّهُ تسبّبَ في إشعال وإذكاء نار الحروب، في الكثيرِ من بقاعِ الأرض، وقد حانَ الوقتُ لتركه والتخلّي عنهُ، أو الدعوة لتجريده من النصوص التي يعتبرونها بزعمهم محرضة للكراهية على الآخر(٢١)

أسباب تفشي الظاهرة الإلحادية المعاصرة:

في ظل تزايد هذه الظاهرة في مجتمعاتنا، لاسيما مع انتشار وسائل الاتصال الحديثة كصفحات التواصل الاجتماعي: الفيس بوك، وتويتر، وغيرهما، كان لا بد من التعرف على أسباب انتشار هذه الظاهرة، حتى نتجنبها، أو نحاول الحد منها قدر الإمكان، ومن أهم تلك الأسباب(٢٢):

١. النشأة في بيت لا يعرف آداب الإسلام ولا يهتدي بهداه، لا يسمع فيه الناشئ ما يدله على دينه، ولا يتعلم حبه، ولا يعظم ويوقر الله في قلبه، ولا يربى على خشية الله ومراقبته في السر والعلن، وبهذا فإنه يكون صيداً سهلاً لشبهات الإلحاد التي تقابله في مواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الإنترنت، ممزوجة بنكهة الشهوات الجذابة، وهنا مثله مثل من ربطت يداه ورجلاه وألقي في حوض السباحة وقيل له إياك أن تغرق.

٢. قراءة كتب في الإلحاد دُس فيها السم بألفاظ منمقة، وصدرت بشبهات مضللة، صاغها طغاة الإلحاد وتعمدوا فيها الدعوة إلى إلحادهم بتشكيك الجيل وحيرته، ودعوته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لسلوك طريق الإلحاد وظلاله.

٣. عرض الشهوات بطريقة جذابة، وصور فجه تدعو الشباب لممارستها، والأطفال لرؤيتها وقبولها واستمرائها، وربطها بالحرية الشخصية وحقوق الأفراد، وهنا تغلب الشهوات على قلب المرء فتريه المصلحة في إباحتها وأن تحريم الشرع لها خال عن الحكمة، فيؤدي به ذلك إلى إباحية وجحود.

٤. ومما استجد في هذا العصر انفتاح العالم الفضائي بشقيه – القنوات والانترنت – وما يُبث فيهما من شهوات وشبهات تأخذ كل واحدة منهما بنصيبها من شبابنا مع عدم وجود حملة تحصين مضادة لآثارها، وأمام عدم تحصين الجيل بعلم يدرأ به الشبهات، وعقل يدفع به الشهوات، وسهولة الوصول لأماكنها بضغطة زر يحمله في جهازه الذي بين يديه تتكالب الشهوات والشبهات على الجيل لتجعله كي يتخلص من تأنيب الضمير والشعور بالإثم يميل إلى قبول الظاهرة الإلحادية، لأنها ترفع عنه رقابة الإله، تحت طغيان سلطة الشهوة والشبهة.

٥. ممارسات وتطبيقات بعض المتدينين والمحسوبين على أهل التدين سواء بالاسم، أو المظهر والرسم، وسواء كان ذلك الفعل صادر عن مؤسسات أو أفراد، ومع كون ممارساتهم لا تمت للدين بصلة، سواء من باب القسوة والعنف وسفك الدماء واستلاب الحقوق ومصادرة الحريات، أو من باب تمييع الدين وعصرنته وجعله بوابة تجيز كل الممارسات المرغوبة؛ كل ذلك أوجد جيل ينظر إلى هذه السلوكيات أنها لا خير فيها، ولا خير في دين يشرعها ويدعو لممارستها، فترك هذا الدين أولى من تطبيقه وامتثال أوامره.

٦. عدم عناية الإعلام ووسائله الرسمية بإبراز القدوات الصالحة التي تتسم بالعلم والعمل، وحينما يخبو أثر هؤلاء فقل ما شئت عن بروز أدعياء العلم والتقوى الذين تحتفل بهم وسائل الإعلام، أو هيمنة القدوات المتحررة من كل القيود باسم العلمانية و الليبرالية، فإذا كان الجيل لابد لهم من قدوات ولا يجدون أمامهم غير هذه النماذج، فهو إما مقلد لها، أو مجانب لمنهجها إذا ارتبط باسم الدين والتدين.

٧. عدم قيام مؤسسات التربية من تعليم ومعاهد وجامعات بأنشطة تذكر للوقوف في وجه موجة الإلحاد الجديدة، وبطء استجابتها للمستجدات العالمية والحراك الاجتماعي بشكل مؤسسي، وغياب كثير من أساتذة الجامعات والمربين عن المشهد الثقافي وعدم تمكينهم من المشاركة الاجتماعية، ظهر أثره في انتشار الشبهات، وعدم التصدي لها من خلال البحوث العلمية والمؤتمرات.

٨. دور النشر وما تبثه من روايات إلحادية، وتجارب منحرفة وكتب فكرية وفلسفية تصادم ثوابت الإسلام، وامتلاء معارض الكتاب، ودور النشر، وغياب الرقابة عن هذه الكتب والروايات المتضمنة فكر الإلحاد، كان من أسباب نشر غثاء الإلحاد وشكوكه وأثره الواضح على الجيل المعاصر.

٩. انتشار ظاهرة المقاهي الثقافية التي تروج للثقافة الإلحادية وعدم وجود ضابط قانوني لها، أو ممارسة هذه الملتقيات الثقافية في غفلة عن الرقابة، باسم لقاءات أدبية، أو فكرية، أو اثنينية، أو ثلوثية، أو غيرها من لقاءات تستقطب الشباب، يستمعون من خلالها لأطروحات فكرية تدعو لفكر الإلحاد وتشجع لممارسته بدعوى الحرية، والحقوق الشخصية.

١٠. المواقع المشبوهة التي يدعمها كبار الملاحدة على الإنترنت وتدعي نصرة المظلومين وتبث ضمن ذلك ما شاءت من أفكار إلحادية.

١١. إشكاليات الحضارة وأزمة الهوية السائدة بين الشباب مع عدم وجود المحاضن التربوية المقنعة التي تحوي الفكر والإيمان إضافة إلى السلوك.

الآثار السلبية للإلحاد في حياة الجيل:

ترك الإلحاد المعاصر آثاره الواضحة في سلوك الإنسان وفي أخلاق الأمم ونظام الاجتماع، والممارسات السياسية ونستطيع أن نجمل هذه الآثار فيما يلي([٢٣]):

١. القلق والصراع النفسي: إن أول الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي، والخوف من المستقبل.

٢. الأنانية والفردية: كانت النتيجة الحتمية للقلق النفسي والخوف من الأيام هي اتجاه الإنسان نحو الفردية والأنانية ونعني بالأنانية اتجاه الإنسان لخدمة مصالحه الخاصة وعدم التفكير في الآخرين، فالدين الذي يحث الإنسان على بذل المعروف للآخر والإحسان للناس ابتغاء مرضاة الله بانحساره عن حياة الإنسان، حل مكانه التفكير في النفس فقط وبذلك بدأ الناس في هذا العصر لا يأبهون لغيرهم من بني البشر، وشيئاً فشيئاً قَلَّتْ العناية بالفقراء والمحتاجين ثم بالأهل والأقربين ثم بالوالدين وأيضاً بالزوجة والأولاد.

٣. نمو النزعة الإجرامية، في ظل غياب الوازع الديني؛ لأن الإلحاد لا يربي الضمير، ولا يخوف الإنسان من إله قوي قادر يراقب تصرفاته وأعماله في هذه الأرض، فإن الملحد ينشأ غليظ القلب عديم الإحساس قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة.

٤. هدم النظام الأسري: كان للإلحاد آثار مدمرة في الحياة الاجتماعية للإنسان، فالبعد عن الله سبحانه وتعالى لم يكن من آثاره تدمير النفسية البشرية فقط؛ وإنما كان من لوازم ذلك تدمير المجتمع الإنساني وتفكيكه، وذلك أن نظام الاجتماع البشري لا يكون صالحاً سليماً إلا إذا كانت اللبنات التي تشكل هذا النظام صالحة سليمة، وإذا فسدت هذه اللبنات فسد تبعاً لذلك النظام الاجتماعي بأسره ولذلك كان من نتائج

الإلحاد أيضا هدم النظام الأسري، تحت شعارات الحرية الشخصية للبنين والبنات، والتمرد على الرقابة الأسرية، وعدم احترام الوالدين، وترك المنزل، وممارسة ما يحلو له باسم الحرية وحقيقتها التمرد على كل الحقوق والثوابت والمسلمات، وبالتالي هدم الأسرة الخلية الأولى من البناء الاجتماعي، وفسادها لا شك يفسد النظام كله لأن الأسرة هي المحضن الأول للإنسان وإذا فسد الإنسان فسدت اللبنات التي تكون هذا البناء.

٥. الإجرام السياسي: لعل أعظم آثار الإلحاد هو آثاره في السياسة العالمية، ونظام العلاقات بين الدول، وذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية التي جعلت قلب الإنسان يمتلئ بالقسوة والأنانية دفعت الإنسان إلى تطبيق هذه القسوة والأنانية في مجال العلاقات السياسية العالمية أيضاً؛ ولذلك رأينا الدول الاستعمارية تلجأ إلى وسائل خسيسة جداً في استعباد الشعوب الضعيفة والحصول على خيراتها ونهب ثرواتها، بهذه السياسات المادية الإلحادية.

المبحث الثالث: ملامح الدور الوقائي لحماية الطفل من فكر الإلحاد من خلال توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

سبق بأن المراد بالدور الوقائي في مصطلحات البحث "صيانة فطرة الإنسان وحمايتها من الانحراف، ومتابعة النفس الإنسانية بالتوجيهات الإسلامية الربانية، عن طريق أخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية التي تمنع من التردي في خبائث العقائد والأخلاق وسائر الأعمال، ليظل الفرد على الصراط المستقيم، مهتدياً للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب حياته"(٢٤). وجاء في معناه أيضا: "الإجراءات والوسائل التربوية التي وضعها الإسلام من أجل صيانة وحفظ المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الحسية والمعنوية ليكون المجتمع طاهراً بعيداً عن كل مواطن الفساد والانحلال الخلقي"(٢٥). وخلاصة القول إن المراد بالدور الوقائي للأسرة المسلمة: مجموعة المهام والمسؤوليات المستنبطة من خلال توجيهات القرآن والسنة التي أوجبها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على الأسرة المسلمة لحماية معتقد الطفل من الانحراف العقدي، ومدى ممارستها في تربيته لحماية معتقده من فكر الإلحاد بكافة صوره وتطبيقاته.

لقد سلك الأسلوب القرآني طرق عدة في تفنيد الإلحاد والوقاية منه، سنلقي عليها الضوء في هذا المبحث، حيث يعتبر التنوع في القرآن الكريم للوقاية من الفكر الإلحادي مدرسة في التربية الوقائية، تحمي عقول الناشئة من الوقوع في المرض الإلحادي، إذ تعالج أصل الفكرة بسلامة الفطرة، وتفند الشبهة الإلحادية بالرد المقنع، وتحث العقل على التفكر والتأمل، وتستخدم الدلالات العقلية والحسية على توحيد الخالق، وجاءت السنة منسجمة مع هذا السياق ومفسرة لمجملة، وموضحة وشارحة لمحكمه،

ويمكن تلخيص هذا المنهج الوقائي في نقاط خشية الإطالة والبسط الذي لا يتسع له مثل هذا البحث، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الوقاية بالمحافظة على سلامة فطرة الطفل من الإلحاد:

الفطْرةُ: ما فَطَرَ الله عليه الخلقَ من المعرفة به والإيمان بوجوده سبحانه، وقد جاء في لسان العرب عن معنى الفطرة: " أَن الله فَطَرَ الخلق على الإيمان به والفَطْرُ في اللغة: الابتداء والاختراع، والمعنى أَن الإنسان يُولَدُ بداية على نوع من الجِبلّة والطّبْع المُتَهَيِّء لقبول الدّين، فلو تُرك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غَيرها، وإنما يَعْدل عنه من يَعْدل لآفة من آفات البشر والتقليد، كأَولاد اليهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أَديانهم عن مقتضى الفطْرَة السليمة. وقيل معناه كلُّ مولود يُولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فلا تَجِد أَحداً إلا وهو يُقرّ بأَن له صانعاً وإن سَمَّاه بغير اسمه ولو عَبَدَ معه غيره(٢٦). قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّهِ الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذَلِكَ الدّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصّلاَةَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٢٧)، قال ابن كثير رحمه الله: "فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره"(٢٨)، قال ابن تيمية: "فالحنيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها، والحب لله، والخضوع له، والإخلاص له هو أصل أعمال الحنيفية"(٢٩).

وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما ينتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها" ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه: " فِطْرَتَ اللّهِ الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ"(٣٠). فالفطرة السوية تهتدي إلى وجود الخالق بما أودع الله في الإنسان من قوانين كلية، تظهر آثارها في الطفل الناشئ الذي لم يتعلم أو يتكلم، فهو يدرك أن الحادث لابد له من محدث، وأن الجزء دون الكل، وأنه يستحيل الجمع بين المتناقضين، وهذا من أوائل العقل وبواكيره، بل اعتبره شيخ الإسلام ابن تيمية أشد رسوخا في النفوس من مبدأ العلم الرياضي، كقولنا: إن الواحد نصف الاثنين، ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا: إن الجسم لا يكون في مكانين؛ لأن هذه المعارف أسماء قد تعرض عنها أكثر الفطر، وأما العلم الإلهي فما يتصور أن تعرض عنه فطرة(٣١).

ومن هنا يظهر دور الفطرة في الوقاية من الإلحاد: يقول الهوشان: "إن للفطرة الإلهية التي فطر الناس عليها دور كبير في الوقاية من فكر الإلحاد، بل والعلاج منها أيضا، فمع كثرة المفكرين والمنظرين والباحثين في كيفية معالجة الإلحاد المنتشر بين شباب المسلمين وبناتهم، ومع كثرة الخوض في المناقشات الفكرية مع من تلوثوا بهذه اللوثة الفكرية الخطيرة من المسلمين، ومحاولة إقناعهم عقليا ومنطقيا ببطلان الإلحاد،

وعدم توافقه مع العقل والتفكير السليم، ومع التقدير الكبير لدور هذه المناقشات والحوارات الفكرية في إزالة شبه المشتبهين، ونفض غبار الإلحاد الذي حجب عنهم رؤية الحق، فإن ذلك قد لا يكون كافيا لمعالجة تزايد أعداد الملحدين في صفوف المسلمين، نظرا لعدم تطبيق مبدأ الوقاية ، وعدم قطع دابر السبب الذي يرد منه الإلحاد، ألا وهو انحراف الفطرة الإلهية التي فطروا عليها، والتي هي السبب الرئيسي في انتشار الإلحاد الذي نراه...ويمكن معالجة هذا الأمر من خلال: ترك الإنسان على ما خلقه الله تعالى عليه وفطره، من ميل نحو الإيمان بوجود خالق للكون وصانع، مع ما يترتب على ذلك من الخضوع له والانصياع، والعبادة والطاعة والانقياد، والمحافظة على هذه الفطرة السليمة، خير وسيلة لإبعاد شبح الإلحاد عنه، وأمر كاف للوقاية منه، فالإلحاد أمر خارج عن نطاق المألوف والعادة، بل خارج عن نطاق الجبلة والطبيعة التي خلق الإنسان عليها، وهي نقطة في غاية الأهمية لا بد من التأكيد والتركيز عليه للوقاية والعلاج من الإلحاد، فالأصل أن يكون الإنسان مؤمنا بوجود الخالق والإله، كما أن الأصل فيه أن يولد بعقل وقلب وحواس، وعكس ذلك هو الاستثناء"(٣٢)، وقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا(٣٣).

قال ابن القيم رحمه الله: فالخلق مفطورون على معرفة الله تعالى وتوحيده، فلو خلوا وهذه الفطرة لنشأوا على معرفته وعبادته وحده، وهذه الفطرة أمر خلقي خلقوا عليه ولا تبديل لخلقه، فقد مضى الناس على هذه الفطرة قرونا عديدة، ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة، بمنزلة ما يعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة، مما يوجب خروجهما عن الصحة إلى الانحراف. وإذا كان ترك الناس وفطرتهم السليمة دون تأثير عليها وتغيير لملامحها أمر شبه مستحيل في هذه الأيام التي نعيشها، نظرا لكثرة الأفكار الهدامة الوافدة من الشرق والغرب، والتي أصبحت في متناول كل أحد، عبر وسائل الاتصال التي غزت العالم، ورافقت فتيان المسلمين وشبابهم حتى في غرفة نومهم، فإنه لا بد إذن من بعض الإجراءات التي تحمي فطرة المسلمين السليمة، وعقيدتهم القويمة من خلال: ربط فتيان وشباب المسلمين منذ نعومة أظفارهم بالله تعالى، من خلال تنمية فطرتهم السليمة، وتدعيمها في كل مناسبة، من خلال تشجيعهم على التأمل والتفكر في عظمة الله وقدرته، وبديع خلقه وحكمته، في النفس والكون والحياة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على تدعيم فطرة الصحابة الإيمانية، خاصة عند الفتيان والشباب، فنراه يربط ابن عباس رضي الله عنه بتلك الفطرة ويدعمها، من خلال الوصية المشهورة له: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ

إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"(٣٤). وعقد جلساتٍ دورية مع أولادنا ومن تقع مسؤولية تربيتهم على عاتقنا – وخاصة المراهقين منهم والشباب – للتأكد من سلامة فطرتهم، والإجابة عن كل تساؤلاتهم التي تدور في نفوسهم وعقولهم، ولا شك أن ذلك يتطلب معرفة وعلما محصلا عند الأب أو المربي والمعلم. وعقد لقاءات إيمانية لتلاوة القرآن وذكر الله تعالى، فإنه من أكبر المساعدات على تقوية الفطرة الإلهية، ومن أشد موانع انحرافها وزيغها، فقد تجدي بضع جلسات إيمانية في عودة النفس إلى خالقها ومولاها، ما لا تفعله عشرات جلسات المجادلة والمناقشة الفكرية. هذه بعض الرؤى العملية في تقوية وتدعيم الفطرة الإلهية للوقاية من الإلحاد، تلك الفطرة التي تعتبر السد المنيع في وجه كل الشبهات والأفكار الهدامة الوافدة في هذا العصر، وفي مقدمتها الفكر المادي الإلحادي، الذي جعل من التقدم المادي الذي وصل إليه الإنسان إلها من دون الله، فعبد ما صنعه بالأمس، وهو بذلك يشبه إلى حد كبير ما كان عليه الناس في زمن الجاهلية، حيث يصنع الرجل صنما من تمر يعبده في النهار، فإذا جاع أكله، فهل يعقل هذا في القرن الحادي والعشرين؟!(٣٥).

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى واصفا الفطرة وأنها ناتج لما يغرس فيها: "أرض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها، فان غرست شجرة الإيمان والتقوى أورثت حلاوة الأبد، وان غرست شجرة الجهل والهوى فكل الثمر مر"(٣٦)، ويقول أيضا رحمه الله تعالى: "فالخلق مفطورون على معرفة الله تعالى وتوحيده، فلو خلوا وهذه الفطرة لنشأوا على معرفته وعبادته وحده، وهذه الفطرة أمر خلقي خلقوا عليه ولا تبديل لخلقه، فقد مضى الناس على هذه الفطرة قرونا عديدة، ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة، بمنزلة ما يعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة، مما يوجب خروجهما عن الصحة إلى الانحراف"(٣٧).

ثانياً: الوقاية من الإلحاد بحث العقل على التفكر في مخلوقات الله لتأكيد العقيدة الصحيحة:

لقد دعا القرآن الكريم الإنسانَ إلى النظر في آفاق الكون من حوله، والتفكُّر في آلاء الله، وقراءة صفْحة الكون المفتوحة أمامَه، "ففي القرآن الكريم ما يزيد على ألْف آية تتحدَّث عن معالم هذا الكون، وتَذْكر مفرداته من: السماوات والأرض، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والجبال والبحار والأنهار، والمطر والرعد والبرق... إلى آخره، وإذا كانت هذه الآيات قد ذُكِرت تلك المفردات في سياقِ لفْت الأنظار إلى مظاهر قدرة الله عزَّ وجلَّ في الخلق، دلالةً على وحْدانية الخالق – جل وعلا – وتُثْبِت قضية البعث الذي أنكره الكفَّار، فإنَّها مع ذلك قد جاءت في أسلوب وعبارة تفتح أمام العقل البشري آفاقًا واسعة للتفكير في دلالاتها عبْرَ عصوره المتعاقِبَة من بَعد نزول القرآن،

فيقوم لدَيه من هذه الدلالات في كلِّ عصرٍ ما يشْهد بالحقِّ الذي جاءت به"([٣٨]). فقد حث الله تعالى الإنسان على التفكير والنظر في الكون والتأمل في الظواهر الكونية المختلفة، قال تعالى: "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"([٣٩])، كما حث الإنسان على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله وقوانينه في جميع ميادين العلوم المختلفة، قال تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"([٤٠]). ولم يحثَّ القرآن الإنسان على التفكير والبحث العلمي في الظواهر الطبيعية فقط، وإنما حثه أيضاً على التفكير في نفسه وفي أسرار تكوينه البيولوجي والنفسي، وهو بذلك يدعوه إلى ارتياد ميادين العلوم البيولوجية والفسيولوجية والطبية والنفسية، قال تعالى: "فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ"([٤١]).

لقد استنهض الله سبحانه وتعالى العقل على التفكر بأنه وسيلة لرفع قيمة الإنسان، قال تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"([٤٢]). "وقد حط القرآن من شأن من لا يستخدم عقله وتفكيره بأن جعله أدنى درجة من الحيوان، قال تعالى: "إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون"([٤٣])، إن حرص القرآن الكريم على دعوة الناس إلى التعقل والتفكير واضح في عدد من الآيات التي تتضمن عبارات: "أفلا يعقلون"، "أفلا يتفكرون"، "لعلكم تتفكرون"، "لعلكم تعقلون "، حيث وردت مشتقات "العقل" في القرآن الكريم ٤٩ مرة، كما وردت مشتقات الفكر فيه ١٨ مرة"([٤٤]).

وجاءت السنة النبوية مؤكدة على دعوة القرآن الكريم من حيث: أولاً : التفكير في آيات الله وفي بديع خلقه، فالتأمل والتفكير في خلق الله من أفضل أنواع العبادة ونهى عن التفكير في ذات الله، فعن ابن عباس: أن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي عليه الصلاة والسلام: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال. إن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم: "تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلاَ تَفَكَّرُوا فِي اللهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا قَدْرَهُ"([٤٥])، وذلك النهي يرجع لعدة أسباب منها: قصور العقل الإنساني عن إدراك ما هو خارج نطاق قدرته فالله عز وجل ليس كمثله شيء. وأن العقل الإنساني يفكر على أساس ما لديه من صور حسية مدركة من العالم المحسوس الذي يعيش فيه فإذا حاول أن يفكر فيما هو في عالم الغيب فإنه سيضل ويهلك. كما أن العقل الإنساني لا يستطيع أن يدرك فيما وراء العالم المحسوس إلا بفضل الله تعالى عن طريق الوحي والإلهام الإلهي. وثانيا: يوجه الرسول أصحابه ويشجعهم على التفكير والاستدلال العقلي فيما يستجد من مشكلات الحياة مما لم يرد فيه حكم في القرآن والسنة ويوصي بالاجتهاد، ويرغبهم في ذلك بالثواب في الآخرة، فعن عمرو بن العاص أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"([٤٦]).

يقول الأهدل في مقال له بعنوان: نَظْرَةُ تَأَمُّل فِي مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، "وقفت مع نفسي وقفة تأمل، وتدبر، وتفكر، والتفكر فِي خلق الله من أجل العبادات التي غفل عنها الكثيرون، ولأن التفكير يولد التأمل في خلق الله، واستشعار عظمته سبحانه وتعالى.. أملت في ملكوت السموات والأرض وما فيها من إبداعات حيرت العقول، وترامى تحت عجائبها المفكرون الفحول، بل عجزت كل الوسائل الدقيقة والتقنية الحديثة أن تصل إلى شأو هذا الكون الفسيح، المترامي الأطراف فرجع البصر خاسئا وهو حسير. وازدادت حيرتي حينما علمت علما يقينا أن في السماء مخلوقات بأحجام عظيمة تفوق الخيال، وتتجاوز المحيط الفكري، وحدود الخواطر، وتيقنت أن هذه المخلوقات تسير وفق خطة محكمة، لا تتعدى حدودها المرسومة لها، ولا تميل عن مسارها.. و زادني دهشة ارتباط هذه المخلوقات العلوية، ارتباطا وثيقا بحياة المخلوقات السفلية الكائنة في هذه الأرض المليئة بالعجائب هي الأخرى...فغضضت طرفي، وطويت تفكيري، أمام كون لا يسعه تفكير مخلوق، ولا يحيط به عقل إنسان وتلوت قول الله تعالى: "مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ"(٤٧).

ثم عاد التأمل والتفكر من جديد في كوكبنا الذي نعيش عليه، وهو هذه الأرض فجلت بطرفي، وتفكيري، في بحارها، وأنهارها، وجبالها، وترابها، وكائناتها الحية المتنوعة، وكل ما مر بخاطري، وتفكيري، وإذا بي أقف أمام خلق يعجز العقل البشري عن إدراك كنهه، وتقف الأفكار حائرة في عظمة صنعه، ودقة تنظيمه...وبعد كل هذه التأملات خرجت بنتيجة حتمية، وهي أن هناك قدرة إلهية خلف بدء الخلق وكافة الأحداث، وأدركت أن الله واجب الوجود، وأدركت القدرة الإلهية للخالق، وعظمته وعلمه اللانهائي، المحيط بالكون، في السماء وفي الأرض. وأن خلْق السموات والأرض، وما أوجد فيهما من مخلوقات تسعى، لا نعرف إلا بعضاً منها، ولا ندري عما تفرَّق منها في ملكوت الله الواسع إلا النزر القليل. فإبداع هذا الكون، وضخامته الهائلة، وتناسقه، وجريانه وفق نظام دقيق، ينبئ عن عظمة مُبدعه، و هذا يهدي المتأمِّل فيها إلى قدرة الله عز وجل، فتنجذب النفوس إلى الإيمان، وتتفجَّر ينابيع التسبيح والإقرار بتلك العظمة والقدرة من قلبه على لسانه. ويدرك المتأمل أن هذا الكون بما فيه لم يُخلق عبثاً، ولا باطلاً، فلا يملك الإنسان بعد كلِّ هذه الدلائل إلا أن يتوجَّه إلى خالقه، ومالكه، خاشعا متضرِّعاً، معلناً قناعته بحكمته تعالى في خلق المخلوقات"(٤٨)، قائلاً: "رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"(٤٩).

بعد هذا الاستعراض لمنهج القرآن والسنة الوقائي في حماية العقل من الفكر المنحرف بكافة أشكاله، ومنه فكر الإلحاد، يجد المنصف نفسه أمام مدرسة في حماية عقل الطفل من التيه والضلال، نحن في أَمَسُّ الحاجة إلى الغوص في بحارها واصطياد مدلولاتها وكنوزها، وتقديمها للجيل وتربيتهم عليها لوقايتهم من الانحرافات الفكرية.

ثالثاً: الوقاية من فكر الإلحاد بدحض الشبهات وتفنيدها:

يصعب استعراض منهج القرآن والسنة في تفنيد شبهات الملحدين والرد عليها، وذلك لكثرتها، وتنوع الأساليب والطرق التي وردت في إقناع هؤلاء، ودحض شبههم وافتراءاتهم، ولكن حسبنا هنا أن نورد مثالا واحدا على هذه المنهجية في تحقيق الوقاية من فكر الإلحاد في شبهة قديمة حديثة لا تزال عقول الملاحدة عاجزة عن فهمهما، ولو أنصفوا وأرادوا الحق؛ فإن القرآن والسنة جَلَّتْ هذه الحقيقة، وإجابة على كل ما يدور في رؤوسهم من أسئلة، وسنرى مسلك القرآن في أثبات البعث لوقاية العقل من الانحراف في هذا المسألة، وكيف رد على شبهات المنكرين: "لما كانت قضية البعث والحساب، وإعادة الحياة إلى الموتى بعد تفتت تلك الأجساد واختلاطها بأجزاء الأرض، من معضلات العقيدة، شأنها في ذلك شأن قضية الوحدانية، في الغرابة والاستبعاد، وقد اقتضى هذا الاستبعاد تعجب المنكرين للبعث ووقوعه، ممن يقولون به، ويؤمنون بوقوعه؛ قال تعالى مبينا وموضحا تعجب هؤلاء المنكرين: :ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ" (ق: ١-٣). لذلك فقد سلك القرآن الكريم لإثباتها مسالك مختلفة في طريقة العرض والاستدلال، فتارة يذكر الشبهة ثم يرد عليها، وأخرى يذكر الدليل أولا وبعد استقامته يورد القضية، وحينا يخبر عن وقوع ذلك البعث والحساب خبرا قاطعا، مع طي الدليل لوضوحه. وقد تجلى مسلك القرآن الكريم في عرضه للقضية بأسلوبه الفطري السهل الواضح؛ لأنه خطاب للفطرة البشرية بما هو في متناول إدراكها وقد عنى القرآن الكريم بقضية البعث عنايته بقضية الوحدانية، فكما تعددت الآيات الدالة على إثبات الوجود الإلهي ووحدانيته فقد كثرت الآيات التي تقرر البعث. وتؤكد وقوعه. وأعظم حجة لدى المنكرين للبعث، والأحرى أن نسميها أعظم شبهة لديهم هي: استبعاد إعادة الأجسام بعد تمزقها، وتفتتها، ثم اختلاطها بأجزاء الأرض، إذ تصبح متصورة بصورة التراب، فكيف يمكن إعادتها إلى حالتها التي كانت عليها من قبل!؟ هذا أمر غريب على عقول المنكرين، وعجيب في نفس الوقت عندهم، والحديث عنه خرافة، والمتحدث به، إما مفتر على الله الكذب، وإما مجنون سلب عقله، فخيل له جنونه ذلك الحديث وأجراه على لسانه"(٥٠).

وقد سلك القرآن الكريم في معالجته لقضية البعث والجزاء، تارة بعرض شبهة المنكرين ثم يرد عليها، وأخرى بذكر الدليل على البعث أولا، وبعد أن يتقرر ويتضح يورد القضية، وحينا يخبر عن وقوع البعث والجزاء خبرا قاطعا مع طي الدليل لوضوحه. ولما كان القرآن الكريم قد أستوعب عددا كثيرا من الآيات التي تعالج هذا الموضوع فسنعرض نماذج منها تحت المسالك المشار إليها، إذ لا سبيل إلى استيعاب تلك الآيات كلها في هذا البحث:

فالمسلك الأول وأهم مسلك هو: عرض الشبهة ثم الرد عليها: فقد سبقت الإشارة إلى أن أعظم شبهة عند المنكرين للبعث، هي شبهة الاستيعاد، فقد قالوا: كيف يمكن إعادة الأجسام إلى حالتها الطبيعية التي كانت عليها، بعد أن صارت ترابا؟ ذلك أمر غير معقول عندهم. وفي النموذج التالي(٥١) عرض لهذه الشبهة، وبيان لإنكارهم وتعجبهم ممن يؤمنون بالبعث، ثم دحض لتلك الشبهة، وبيان لزيفها بالأدلة الواضحة البينة المشهودة. فيقول الله تعالى حاكيا عن المشركين استبعادهم وقوع البعث بعد الموت، وعدم إمكانه، وتعجبهم من شأنه وشأن القائل به: "ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ" (ق: ١-٣). وبعد عرضه سبحانه لشبهتهم التي يتكئون عليها يبدأ في الرد عليهم فيقول: "قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ" (ق: ٤-١١).

فنراه تبارك وتعالى يحشد في هذه الآيات عددا من الأدلة، المعنوية منها والحسية المشاهدة، التي تخاطب العقل وتستثير الوجدان، بين سبحانه وتعالى في الآية الأولى، أنه لا مكان لهذا الجحود، ولا وجه لذلك الاستبعاد، فإعادة الأجسام إلى ما كانت عليه أولا، بعد تمزقها واختلاطها بأجزاء الأرض من الأمور اليسيرة على القدرة الإلهية، ذلك أن إعادة الشيء المتفرق أجزاء، أو المستحيل عن صورته إلى صورة أخرى، كتحول الجسم البشري إلى صورة التراب مثلا، يتوقف على أمرين: أولاهما: العلم بتلك الأجزاء المتفرقة، أو بتلك الصورة المستحيلة عن صورتها الأصلية. ثانيهما: القدرة على إعادة تلك الأجزاء- أو تلك الصورة إلى حالتها السابقة وقد أوضحت الآية الكريمة أن علم الله شامل ومحيط، فهو تعالى يعلم أين ذهبت تلك الأجزاء وكيف تفرقت فقد عم علمه جميع الكائنات، صغيرها وكبيرها، حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى، وتأكل من لحومهم وعظامهم، فإذا كان ذلك معلوما لله تعالى، ومكتوبا ومحفوظا، كما قال تعالى: "قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ". فكيف يستبعد عليه إعادتهم - بعد حالتهم تلك - أحياء كما كانوا؟!. جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوما، قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت قالوا: أربعون شهرا ؟ قال: أبيت. ويبلى كل شيء من الإنسان... إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق"(٥٢). فدل الحديث على نقص جسم الإنسان وتحلله، وذهابه في الأرض، إلا ذلك الجزء وهو عجب الذنب، الذي قيل أنه كحبة الخردل، وفيه يركب الإنسان... ونص الرواية في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم "إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا فيه يركب يوم القيامة" قالوا: أي عظم هو؟ يا رسول الله قال: "عجب الذنب"(٥٣) ذاك دليل العلم.

أما دليل القدرة على الإعادة، فقد بينته الآيات التالية لهذه الآية، وهى الآيات المشتملة على الأدلة الحسية المشاهدة، كخلق السماء، والأرض، فالقادر على خلقهما مع عظمهما، قادر على إعادة الإنسان الضعيف من باب أولى، ثم إن الإعادة للمعدوم الممكن، من الأمور الممكنة عقلا. فالعقل لا يمنع من أن من قدر على إيجاد الشيء أولا، قادر على إعادته بعد عدمه ثانيا فإن ذلك من الأمور الممكنة التي لا يستطيع العقل السليم إنكارها. وأما الأدلة الحسية: فبعد ذكره تعالى لشمول علمه وإحاطته، ثم بيانه لسبب اضطرا بهم في أمر البعث، اتجه إلى نوع آخر من الأدلة، وهي الأدلة الحسية المشاهدة، الدالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى، فقال تعالى منكرا عليهم عدم اعتبارهم بهذه الأدلة المشهودة على القدرة الإلهية: "أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ" فهذه السماء التي يدرجون تحتها أفلا ينظرون إلى إبداعها وحسنها، وأحكام بنائها، وما زينت به من كواكب ثابتة وسيارة، ألم يأخذوا منها دليلا على القدرة المبدعة التي لا يعجزها شيء، وهذه الأرض التي يسعون عليها، أفلا ينظرون إليها، كيف مدت لهم وأرسيت بالجبال لئلا تضطرب بهم، وما أنبتنا فيها من الأنواع المختلفة الطعوم والأشكال رزقا للعباد قال تعالى: "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"، ثم بين تعالى أن هذه الآيات الكونية جميعها أوجدها تبارك وتعالى (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى) أي تبصيرا وتذكيرا (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ لكل) راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه. ثم تابع الأدلة الحسية على البعث، فضرب لهم مثلا بإحياء الأرض بعد موتها فقال: "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ"، فهذا مثل ضربه الله لمنكري البعث بما يشاهدونه من حال الأرض قبل نزول المطر عليها وهى جدباء مقفرة، فحين ينزل عليها الماء تهتز وتربو فتنبت من كل زوج بهيج، أي: حسن المنظر، وذلك بعد ما كانت يابسة لإنبات فيها، فأصبحت تهتز خضراء.

فهذا مثال للبعث والإحياء بعد الموت والهلاك، ولذلك يقول جل شأنه (كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) يقول جل شأنه أي مثل ذلك الإخراج للنبات من الأرض يحيي الله الموتى فيخرجهم من قبورهم أحياء للحساب والثواب والعقاب. فهذا المشاهد بالإحساس من آثار قدرته تعالى أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث. وكما رأينا في هذا العرض لبراهين القرآن الكريم على إثبات البعث، تلك البراهين التي لا تدع مجالا للشك عند العقل الفطري السليم في إمكان وقوعه وعدم استبعاده، وبالمقابل، ليست لدى المنكرين لوقوعه حجة يستندون إليها في إنكارهم إلا الاستبعاد المستند إلى الوهم والظن

وبعد... فخلاصة هذا المبحث: كان تحديد بعض ملامح الدور الوقائي لحماية الطفل من فكر الإلحاد من خلال توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، من خلال ثلاثة أجزاء تتكامل لترسم منهج علمي وقائي لحماية عقيدة الطفل من فكر الإلحاد وتصون عقيدته من الانحرافات والزيغ، وهي: الوقاية بالمحافظة على سلامة فطرة الطفل من الإلحاد، وتمثل جانب سلامة الأصل. والوقاية من الإلحاد بحث العقل على التفكر في مخلوقات الله لتأكيد العقيدة الصحيحة، وتمثل جانب التفكير السليم. والوقاية من فكر الإلحاد بدحض الشبهات وتفنيدها، وتمثل جانب العلم وتطبيقاته. وبهذا فإذا تكامل سلامة الأصل من التلوث الإلحادي، وكان الفرد لديه ملكات التفكير السليم ومهاراته، ولديه معرفة بالعلم الشرعي والطبيعي وتطبيقاته، تكاملت له بفضل الله ملكات الوقاية من تأثيرات الشبهات، وبريق الشهوات، وهي غالبا ما يستخدمها الملحدون في نشر باطلهم.

المبحث الرابع: الاستراتيجيات التربوية الوقائية الداعمة للأسرة المسلمة في وقاية الطفل من فكر الإلحاد وتطبيقاتها في تربية الطفل:

نظرا لكثرة شبه الإلحاد، وتعدد مسبباته ومصادره، وتلون أساليبه وطرقه، فإن الوسيلة الصحيحة لمواجهة خطره وتأثيراته على الجيل هي بناء استراتيجيات وقائية طويلة المدى ومؤثرة، تعمل كحصانة من فكر الإلحاد، فكما قيل في الأمثال: درهم وقاية خير من قنطار علاج، بل يجب أن تعرف الأسرة المسلمة أن الوقاية هي احدى الاستراتيجيات الكبرى المأمورة بتطبيقها في تربية الطفل امتثالاً لقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ"(٥٤). فإذا كان مبدأ الوقاية مطلوب في حق الأمراض العضوية التي قد تفتك بالطفل وهو من مسؤولية الأسرة المتمثلة في الوالدين، فإن الوقاية تكون أشد أهمية إذا كان الأمر يتعلق بالفكر وتدمير العقول واختطافها، لذا جاء الدين بحفظ الضرورات الخمس (الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل) التي تمثل مبادئ الوقاية الأساسية في الإسلام، حيث قرر من خلالها حماية العقل، لأنه مناط التكليف وبه كان التكريم لجنس الإنسان. ولذا فإن من أبرز أدور الأسرة المسلمة في التربية الدور الوقائي، وهو الذي لا ينتظر المشكلة حتى تقع فيقوم بالمعالجة، فهو دور مبادر يستشعر الخطر قبل وقوعه، ويتخذ الإجراءات التربوية الكفيلة بسلامة معتقد الطفل من الوقوع في فكر الإلحاد، وتتعاظم الأهمية على الأسرة المسلمة كلما كان الخطر يتهدد عقل الطفل ويفسد معتقده.

وهذا المبحث يتناول أهم ثلاث استراتيجيات وقائية تكون في حال تطبيقها من قبل الأسرة كفيلة بإذن الله من وقاية الجيل من فكر الإلحاد، لاسيما أن هذه الاستراتيجيات يكون تطبيقها مبكرا في مرحلة الطفولة التي نحن بصدد الحديث عنها وهي: استراتيجية البناء والتأسيس (تحصين). واستراتيجية الدعم والمساندة والتعزيز (إسناد). واستراتيجية المتابعة واليقظة (يقظة). والآن سيتم استعراض كل استراتيجية من الاستراتيجيات الثلاث من حيث مفهوم الاستراتيجية وطريقة التطبيق الوقائي:

أولاً: استراتيجية البناء والتأسيس (تحصين):

تتطلب الوقاية من كثير من الأمراض العضوية في المستقبل خطة استراتيجية تتمثل في التحصين من هذه الأمراض من الصغر وذلك ببناء جهاز مناعي لديه القدرة لمقاومة هذه الأمراض في المستقبل وتدميرها، ليكون الجسم صحيحا وسليما، وهذا ما يعرف بالتحصينات الأولوية من الصغر، وكذا فإن الأمراض العقلية والفكرية بحاجة إلى اقتباس هذه الاستراتيجية – التحصين – وتطبيقها في حياة الطفل للوقاية من فكر الإلحاد مستقبلا. ويقصد بالاستراتيجية: التعرّف على أفضل طريقة لبلوغ الهدف والتوصّل إلى أنجع طريق يؤدي إليه في أحسن الظروف الممكنة من خلال استغلال نقاط القوة والتغلّب على مناطق الضعف وينظر للاستراتيجية بوصفها توظيفاً لعناصر القوة لعمل وتصميم وبناء حاضر يتيح إنجاز أهداف المستقبل(٥٥). والمراد باستراتيجية التحصين: مجموعة الإجراءات والترتيبات التربوية التي يقوم بها الوالدان وتعد من مهامهما، ويوجهانها إلى الأولاد لتعزيز ثباتهم أمام التيارات الوافدة؛ التي تهدف إلى زعزعة عقيدتهم وقيمهم ومبادئهم الإسلامية، وعلى رأسها فكر الإلحاد. ومن الإجراءات العملية للتطبيق الوقائي لاستراتيجية التحصين:

١. تأسيس أصل التوحيد في قلب الطفل والشعور برقابة الله للإنسان واطلاعه على كافة أموره وحركاته وسكناته، وأنه هو سبحانه وتعالى النافع الضار الذي بيده مقاليد الأمور المتصرف فيها بحكمته وعلمه، ولا ريب أن هذا هو المنهج النبوي الذي تعهد به صلى الله عليه وسلم تربيته غلمان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، حيث جاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَات احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"(٥٦)، قد دلنا هذا الحديث الشريف على ما كان من عناية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ رسالة ربه سبحانه وتعالى واعتنائه بتربية الأطفال وتغذية نفوسهم بالعقائد الإسلامية فكان يعقد لهم مجالس خاصة في المسجد وغير المسجد

يعلمهم فيها أمور دينهم ودنياهم ويغرس في نفوسهم حب الأعمال الصالحة لينشأوا نشأة صالحة ويكونوا علماء بدينهم عاملين بتعاليمه([٥٧])، وبهذا المنهج يقوم الوالدان ببناء وتأسيس الحصانة الفكرية ضد فكر الإلحاد، عن طريق اليقين المناقض للشك بوجود الله واستشعار رقابته في حياته، وحفظه له من الأخطار.

٢. بناء مفهوم الرقابة الذاتية، الذي يربي المسلم على رقابة الله عز وجل في جميع أعماله وأحواله كأنه يراه، وحدُ المراقبة: علم القلب بقرب الرب سبحانه وتعالى. قال تعالى: "الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين"([٥٨])، وقال تعالى: "وهو معكم أينما كنتم"([٥٩])، وقال تعالى: "إنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء"([٦٠]). وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام المشهور لما سأله عن الإحسان قال: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). والمعنى: أن تعبد الله عز وجل كأنك تراه أمامك فيوصلك هذا إلى دوام خشيته سبحانه وتعالى. فهذا لقمان عليه السلام يربي ابنه فقال له ناصحا وموجها (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير)([٦١]).

٣. المحافظة على سلامة الفطرة من الانحراف بالملوثات الفكرية في طفولته سواء من خلال الكتابة، أو الصورة وهي الأشد خطرا، فلا بد من الحذر والرقابة الواعية على كل ما يقع تحت يد الطفل، دون تقييد لحريته، وهدم لشخصيته، ودون انفلات قد يكون ثمنها شبهات تقوده إلى الهلاك.

ثانياً: استراتيجية الدعم والمساندة والتعزيز (إسناد):

والمراد باستراتيجية الإسناد: هي أن التربية من الوالدين تجاه الأبناء يجب أن لا تتوقف بمرحلة معينة، أو سناً محدداً فهي عملية مستمرة تقوم على الاستفادة من خبرات الوالدين في توجيه الأبناء وإسنادهم في المواقف التي تعترضهم وتسبب لهم تحدياً وإرباكاً، دون سلب إرادتهم من التصرف، أو تحجيم حرياتهم في اتخاذ القرار، لكنهم يعتادون عند اتخاذ قرار ما مشاورة الوالدين، أو من يثقون بعلمه وخبرته. ومن الإجراءات العملية للتطبيق الوقائي لاستراتيجية الإسناد:

١. تربية الأبناء على مبدأ الاستشارة في الأمور التي تشكل عليهم في حياتهم، وأن يكون الوالدان هما المستشاران الأساسيان في حياتهم، وملء حياتهم ثقة وقناعة بتطبيق مفهوم الاستشارة غير الملزمة، وإنما الموجهة والمرشدة، ليأنس الأولاد بهذا النموذج الراقي في الاستشارة التي لا تسلبهم إرادتهم وتصرفاتهم، فتزداد الثقة والقناعة فيضل الوالدان هم مرجعية الأبناء في الاستشارة في أمور حياتهم الحياتية، والفكرية، وليس شرطاً هنا أن يكونا الوالدان هما مرجعية الاستشارة في

كل حالة؛ ولكن ربما يرشدان الأبناء إلى من يستشيران في هذه المشكلة، أو هذا الموقف، أو هذه الفكرة، فنحافظ على بقاء العلاقة مع استمرارية الدعم والإسناد لهم في حياتهم، وبهذه المرجعية الاستشارية يتحقق مفهوم الوقاية من كل فكر دخيل يراد به تشويش أفكار أبنائنا.

٢. إشباع الغرائز لدى الأولاد بالطرق السليمة والشرعية وعدم تجاهل هذا الأمر، فإن التوجيه النبوي جاء بالحث على إشباع الغرائز لدى الشباب وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)(٦٢). كما جاء التوجيه النبوي الكريم بالابتعاد عن المثيرات الجنسية لقول الرسول ﷺ عن علقمة بن عامر ﷺ: (إيّاكم والدخول على النساء! قيل: يا رسول الله: أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت)(٦٣). والتطبيق العملي الشرعي لإشباع الغريزة الجنسية هو أن الإسلام ينظر إلى الجنس بحسبانه تصريفاً للشهوة بالحلال وإشباع الغريزة بالزواج، ويُعَدُّ ذلك من الأعمال الصالحة التي يستحق صاحبها رضوان الله تعالى، ويستحق الأجر والثواب لقول الرسول ﷺ عن سعيد بن هلال ﷺ: (تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة)(٦٤)، فإن عجز عن الزواج في سن مبكرة، فقد قدم الإسلام له البديل المناسب لاحتواء الغريزة وهو الصوم الذي يضعف الشهوات ويرفع درجة التقوى بالقلب فيراقب الله في سره وعلنه، وإذا ضيقت الشهوات وسلم منها الأبناء سلموا غالبا من الشبهات، فإن أرباب الشبهات أكبر منافذهم لعقول الأبناء هو من مدخل الشهوات، فإذا أصبح الشاب أسيراً لشهواته، لم يستطع مدافعة الشبهات التي تزينها، وتجعله يشعر بالتبرير لما يفعل دون الشعور بتأنيب الضمير، ولوم النفس، ومراقبة الله، فلا مجال للتخلص من ذلك كله إلا بركوب موجة الإلحاد لتخفيف الشعور بإثم المعصية، فيفر من الشعور بالإثم، ويقع فريسة قلق الإلحاد ووحشة إنكار الذات الإلهية. ولا حل ولا مخرج من ذلك إلا بالأخذ بتوجيه القرآن والسنة بإشباع الغرائز، وحمايتها بالطرق السليمة الموافقة لتوجيهات القرآن والسنة، وهذا يتحقق بإسناد الوالدين للأبناء وحرصهم على تحقيق هذه التوجيهات في حياتهم من سن مبكرة تحفظهم وتحميهم من الشهوات والشبهات، وهذا الأمر يتوجب على الوالدين تجاه الأبناء الذين يبتعثون للدراسة في بلاد تنتشر فيها الشهوات والشبهات، هنا يتوجب إسناد الأبناء لحمايتهم من سطوة الشهوة وزيف الشبهة.

ثالثاً: استراتيجية المتابعة واليقظة (يقظة):

والمراد باستراتيجية اليقظة: الشعور الداخلي من الوالدين تجاه الأبناء بكل ما يشكل خطرا عليهم يظل هو ما يشكل مفهوم الحاسة السادسة التي تتلمس حياة الأبناء وترصد تصرفاتهم وتلاحظ سلوكياتهم، تستفسر بهدوء ومحبة عن كل ما تلاحظه من

سلوكيات مخالفة لقيم الإسلام في جو من الحوار، بعيداً عن مصادرة الآراء أو التأنيب والتبكيت، أو التخويف والعقاب حتى لا يخفي الأبناء السلوكيات غير المرغوبة عن أعين الوالدين، بسبب الخوف، أو خشية اللوم والتأنيب، بل يقظة من الوالدين وقبول من الأبناء. ومن الإجراءات العملية للتطبيق الوقائي لاستراتيجية اليقظة:

١. التفريق بين مفهوم اليقظة والرقابة من الوالدين، فليس الذي نعنيه هنا هو الرقابة على الأبناء ورصد أخطائهم وسلوكياتهم، وإنما المقصود هو المتابعة والتي تعني الاستمرارية في التربية، واليقظة والتي تعني عدم الغفلة عن كل ما يطرأ على الأبناء من سلوكيات، وعند ملاحظة بعض المؤشرات من العزلة عن الأسرة أو الجلوس على الإنترنت ومواقع التواصل ساعات طويلة وفي أماكن معزولة، هنا الأمر يتطلب يقظة من الوالدين وتقديم النصيحة الوقائية من خطر المواقع الإباحية والإلحادية، ولا يعني تقديم النصيحة عند هذا الحد، بل يتطلب الأمر دمج الأولاد في محيط الأسرة، والسماح بتصفح الأجهزة والإنترنت في الأماكن العامة في البيت، وجعل الوقاية هي المبدأ الأول لحماية الطفل من الشهوات والشبهات.

٢. معرفة الشبهات التي تنتشر في أوساط الأبناء في كل مرحلة وسن معين وطرحها في جلسة عائلية أسبوعية ومناقشتها من الأسرة بكل أفرادها، وترك الحرية للأبناء لإبداء رأيهم بكل شفافية، والمناقشة الهادئة مع التوجيه السليم، والعمل على إزالة القناعات الخاطئة وإحلال القناعات البديلة الصحيحة.

٣. من تطبيقات اليقظة في تربية ورعاية الطفل أن تأخذ اليقظة تطبيق مفاهيم الاستراتيجيات بعيدة المدى مخطط لها، باعتبار الطفل أعظم استثمار في حياة الأسرة لا يعدله استثمار، فإذا كان الاستثمار في حياة التاجر مخطط له بوعي ووضوح أهداف، فما بالنا مع أعظم استثمار للأمة كلها في العنصر البشري، وفي أعظم باب وهو التربية لا يعط حقه من التخطيط والحرص، وإنما تقوم تربيتنا كردة فعل ضد أي سلوك خاطئ، وهذا يكلفنا الكثير، ويفقدنا قوة التأثير. ولذا يجب أن نخطط لبناء مستقبل الطفل، برسم الأهداف العليا له، ومساندته ودعمه في تحقيقها، وكل هذا من مفهوم اليقظة في التربية والرعاية للطفل لحمايته وتوجيهه نحو صلاح دينه ودنياه.

نتائج وتوصيات البحث:

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

١. فكر الإلحاد المعاصر في صوره المختلفة يختلف عن الإلحاد القديم من حيث عدم الاقتصار على قضية الإلحاد وإنكار الذات الإلهية والاقتصار على هذه الفكرة كممارسات تشككية فردية، وإنا تحول إلى الحاد متوحش يدعو إلى الفكرة الإلحادية

ويروج لها، ويستميت في سبل نشرها بشتى الوسائل والطرق، بل ويعادي ما سواها من أفكار عقدية مهما كان مصدرها ومعتقدها.

٢. تميز المنهج التربوي الإسلامي في معالجة الفكرة الإلحادية من خلال المصدرين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، في مسارين تربويين رائعين، مسار الوقاية من الانحرافات الفكرية، ومسار المعالجة من فكر الإلحاد، الأمر يتطلب إبراز هذا المنهج من خلال المؤسسات التربوية.

٣. تحقيق التربية الوقائية من فكر الإلحاد يقوم على تكامل ثلاث استراتيجيات تطبيقها في تربية الطفل يحتاج أن تؤمن الأسرة بأن الطفل هو أعظم استثمار لديها، وأن تحقيق هذه الاستراتيجيات في تربية الطفل تقوم على أساس استراتيجية البناء والتأسيس، ويتبعها استراتيجية الدعم والمساندة، ويكملها استراتيجية المتابعة واليقظة المستمرة لرصد المخاطر والمتغيرات التي تشكل خطرا على تربيته.

٤. غياب الرقابة الأسرية عن معرفة ما يقوم به الطفل عبر وسائل التواصل والشبكات الإلكترونية سهل الانحرافات الفكرية، وصَعَّب الأمر على الأسرة عدم وجود منهج أو برنامج وقائي عملي في ممارساتها التربوية.

ومن خلال ما تقدم في هذا البحث نضع بين يدي الجهات المعنية مجموعة التوصيات التالية:

١. على المؤسسات التربوية ضرورة إبراز المنهج الوقائي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في الوقاية من الانحرافات الفكرية وعلى رأسها فكر الإلحاد وتحويله إلى برنامج عملي وممارسات تربوية تحصن الطفل وتسهم مع الأسرة في وقايته من الانحرافات العقدية.

٢. تقديم برامج تدريبية وتثقيفية للأسرة تساعدها في تطبيق استراتيجيات الوقاية الفكرية، وتكون بصفة مستمرة وفي أوقات تناسب الأسرة لحضور هذه البرامج، ويكون ذلك عن طريق المؤسسات الاجتماعية.

٣. استحداث مراكز استشارات أسرية متخصصة في مجال الاستشارات وطرق الوقاية من الانحرافات الفكرية التي قد يقع فيها الأبناء، لتسهم بمساعدة الأسرة في تجاوز الأزمات التي تمر بها في تربية أبنائها عن طريق وجود جهة موثوقة ومتخصصة تقدم النصح والمشورة وتقترح البرامج العملية الوقائية والعلاجية في تربية الطفل.

المراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣. أحمد عبد الحليم بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ.

٤. أروى بنت عبد الله بن مساعد الفايز: الآثار الأخلاقية للعولمة على الأسرة المسلمة ووسائل مواجهتها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، قسم الثقافة الإسلامية، ١٤٣٢ -١٤٣٣ هـ.

٥. إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

٦. أنيس، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٧. بهي الدين حسن، ومحمد السيد سعيد، اتفاقية حقوق الطفل، حقوقنا الآن وليس غداً، المواثيق الأساسية لحقوق الإنسان، (د. ت).

٨. حسين، أحمد ضياء الدين. أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٥م.

٩. حلمي القمص يعقوب، رحلة إلى قلب الإلحاد، ج ١، نسخة من الكتاب pdf.

١٠. حنان محمد درويش: دور الأسرة المسلمة في تفعيل قيمة الوسطية كمنهج حياتي للشباب، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ٢٠٠٣.

١١. خليل بن عبد الله الحدري، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، رسالة ماجستير منشورة.

١٢. خليل بن عبد الله الحدري، منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة، تصور مقترح، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، رسالة دكتوراه، ١٤٢٢هـ.

١٣. رشيد سلامة، الإلحاد قصة الميلاد، مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٢م.

١٤. صالح بن حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ.

١٥. طه محمد كسبه، سفينة نوح الجديدة في مواجهة طوفان الإلحاد المعاصر، موقع شبكة الألوكة الثقافية، رابط الموضوع: http://www.alukah.net/culture/0/63228/#ixzz3beQHF1z3.

١٦. عامر الهوشان، الفطرة الإلهية وقاية وعلاج من الإلحاد (١)، المجلس العلمي، موقع شبكة الألوكة على الانترنت.

١٧. عبد الرحمن الخاني، شرح حديث يا غلام احفظ الله يحفظك (٢)، شبكة الألوكة، ١٤٣٦هـ، رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia.

١٨. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل، نَظْرَةُ تَأَمُّلٍ فِي مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، موقع صيد الفوائد، https://www.google.com.sa.

١٩. عبد الرحمن بن محمد الدوسري، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ.

٢٠. عبد الرحمن حسن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢١. عبد الرحمن عبد الخالق، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٢٢. عبد اللطيف مصلح، ظاهرة انحراف الأحداث في المجتمع، وعلاقتها بمتغيرات الوسط الأسري، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٣. عبدالله بن صالح العجيري، ميليشا الإلحاد – مدخل لفهم الإلحاد الجديد، مركز تكوين، الخبر، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٤م.

٢٤. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثالثة عشر – العدد (٥٠ – ٥١) ربيع الآخر – رمضان ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٥. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ت).

٢٦. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٧. محمد السيد راضي جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٨. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار التراث، القاهرة (د. ت).

٢٩. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

٣٠. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣١. محمد بن عبد الباقي الزرقاني، مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٩ه.

٣٢. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٣. محمد صادق الهاشمي، الاحتلال الأمريكي للعراق ومشروع الشرق الأوسط الكبير تداعياته ونتائجه، مركز العراق للدراسات، ٢٠٠٥م.

٣٤. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٣٥. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، (د. ت).

٣٦. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٣٧. وائل رمضان،ظاهرة الإلحاد ما حقيقتها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية؟ مجلة الفرقان، جمعية أحياء التراث الإسلامي، العدد ٧٠٨، ٢٠١٢ م.

هوامش الدراسة:

١. عبد الرحمن عبد الخالق، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ص: ٥-٦

٢. عبد الرحمن بن محمد الدوسري، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ، ص٤٠.

٣. عبد الرحمن حسن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ، ص٤٠٩.

٤. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة: الثالثة سنة الطبع: ١٤٠٨هـ، رقم: ٢٩٧٦ خلاصة حكم المحدث: حسن.

٥. صالح بن حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ٢٠٦.

٦. خليل بن عبد الله الحدري، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، رسالة ماجستير منشورة، ص ٤٧-٤٨.

٧. عبد اللطيف مصلح، ظاهرة انحراف الأحداث في المجتمع، وعلاقتها بمتغيرات الوسط الأسري، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٢٦.

٨. بهي الدين حسن، ومحمد السيد سعيد، اتفاقية حقوق الطفل، حقوقنا الآن وليس غداً، المواثيق الأساسية لحقوق الإنسان، (د. ت)، ص ١٨٨.

٩. عبد الرحمن بن محمد الدوسري، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، ص٤٠.

١٠. عبد الرحمن حسن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب المعاصرة، ص٤٠٩.

١١. القاموس المحيط، فصل اللام، باب الدال ص١٠٤، والمعجم الوسيط، مادة (لحد)، ٢/ ٨١٧.

١٢. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، ٤/ ٢٣٦.

١٣. عبد الرحمن بن محمد الدوسري، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، ص٤٠.

١٤. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ، ص ٢٥٣

١٥. عبد الرحمن حسن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب المعاصرة، ص٤٠٩.

١٦. حلمي القمص يعقوب، رحلة إلى قلب الإلحاد، ج ١، ص ١٧- ١٨، نسخة من الكتاب pdf.

١٧. المرجع السابق، ص ٤-٥.

١٨. رشيد سلامة، الإلحاد قصة الميلاد، مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٢/٧/١٧م، ص ١.

١٩.طه محمد كسبه، سفينة نوح الجديدة في مواجهة طوفان الإلحاد المعاصر، موقع شبكة الألوكة الثقافية، ص ٦، رابط الموضوع: http://www.alukah.net/culture/0/63228/#ixzz3beQHF1z3.

٢٠.عبد الرحمن عبد الخالق، الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، ط٢، ١٤٠٤هـ، ص: ٦

٢١.وائل رمضان، ظاهرة الإلحاد ما حقيقتها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية؟ مجلة الفرقان، جمعية أحياء التراث الإسلامي، ع ٧٠٨، ٢٠١٢ م، ص ٣٤- ٣٧.

٢٢.المرجع السابق، الصفحات نفسها.

٢٣.المرجع السابق، ص ٣٦.

٢٤.الحدري، خليل بن عبد الله. التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، رسالة ماجستير منشورة، ص ٤٧-٤٨.

٢٥.حسين، أحمد ضياء الدين. أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢.

٢٦.ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة فطر.

٢٧.سورة الروم، آية ٣٠.

٢٨.إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ، ص ٣/٤٣٣.

٢٩.أحمد عبد الحليم بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ، ٤٥١ /٨.

٣٠.محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧هـ، رقم ١٣٨٥.

٣١.عامر الهوشان، الفطرة الإلهية وقاية وعلاج من الإلحاد (١)، المجلس العلمي، موقع شبكة الألوكة على الانترنت.

٣٢.عامر الهوشان، الفطرة الإلهية وقاية وعلاج من الإلحاد (١)، المجلس العلمي، موقع شبكة الألوكة على الانترنت.

٣٣.مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار أحياء الكتب العربية، (د. ت)، برقم ٢٨٦٥.

٣٤.محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي برقم ٢٥١٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧).

٣٥.عامر الهوشان، الفطرة الإلهية وقاية وعلاج من الإلحاد (١)، المجلس العلمي، موقع شبكة الألوكة على الانترنت.

٣٦.محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، ٣٧/١.

٣٧.محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار التراث، القاهرة، ٢٣٩.

٣٨.محمد السيد راضي جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ج١، ص ٩٩.

٣٩.سورة العنكبوت، آية ٢٠.

٤٠.سورة الغاشية، آية ١٧-٢٠

٤١.سورة الطارق، آية ٥-٧.

٤٢.سورة الزمر، آية ٩.

٤٣.سورة الأنفال، آية ٢٢.

٤٤.خليل بن عبد الله الحدري، منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة – تصور مقترح –، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، رسالة دكتوراه، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٤٥.إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ، ص ٧/٤٣٢.

٤٦.مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار أحياء الكتب العربية، (د. ت)، برقم ١٧١٦.

٤٧.سورة الحج، آية ٧٤.

٤٨.عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل، نَظْرَةُ تَأَمُّلٍ فِي مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، موقع صيد الفوائد، https://www.google.com.sa.

٤٩.سورة آل عمران، آية ١٩١.

٥٠.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثالثة عشر – العدد (٥٠ – ٥١) ربيع الآخر – رمضان ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٦٧.

٥١.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثالثة عشر – العدد (٥٠ – ٥١) ربيع الآخر – رمضان ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٧٠– ٧٣ بتصرف يسير.

٥٢.محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري كتاب التفسير باب ونفخ في الصور... رقم الحديث ٤٨١٤.

٥٣.مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار أحياء الكتب العربية، (د. ت)، برقم ١٤٣.

٥٤.سورة التحريم أية ٦.

٥٥.محمد صادق الهاشمي، الاحتلال الأمريكي للعراق ومشروع الشرق الأوسط الكبير تداعياته ونتائجه، مركز العراق للدراسات، ٢٠٠٥م، ص ٣٥ –٤٠.

٥٦.محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي برقم ٢٥١٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧).

٥٧.عبد الرحمن الخاني، شرح حديث يا غلام احفظ الله يحفظك (٢)، شبكة الألوكة، ١٤٣٦هـ، رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia.

٥٨.سورة الشعراء، آية ٢١٨–٢١٩.

٥٩.سورة الحديد، آية ٤.

٦٠.سورة آل عمران، آية ٥.

٦١.سورة لقمان، آية ١٦.

٦٢.مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار أحياء الكتب العربية، (د. ت)، برقم ٩٩٥.

٦٣.محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، رقم٤٩٣٤.

٦٤.محمد بن عبد الباقي الزرقاني، مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٩ه، رقم الحديث ٣٤٠.